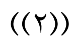
عمر أبو ريشة

قيثارة الخلود



موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث

عمر أبو ريشة

قيثارة الخلود

إعداد ودراسة: هاني الخيّر.

أعلام الشعر العربي /عمر أبو ريشة/

قيثارة الخلود

إعداد: هاني الخير

إعداد ودراسة: هاني الخيّر

سنة الطباعة: ٢٠١٠.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الترقيم الدولي: 4 - 38 – 410 – 9933 - 987

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٩٦٣

تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

ليس في الشعر قديم وحديث. فهنالك شعر أو لا شعر. أما المذاهب الشعرية التي اتخذها بعضهم ذريعة لتقديم كلام ليس من الشعر في شيء، فإنها بحارٌ من طلاسم وألغاز جرَّتهم إليها جهات تقصد التشويه من أصالة وجه الشعر.

الشاعر عمر أبو ريشة.

إضاءة

عمر أبـو ريشة... محطات حياتية

عمـر أبـو ريشة[1].. شـاعـر الحـب والجمـال ـيِّ دنيـا العـرب. وحامـل رايـة المعارضـة ومقارعة الخطوب والثورة ضد الاستعمار، عندما كان مهيمناً على الـوطن العربـي، بأنفاســه الـكريهــة وأفكــاره الحاقــدة، فظــل بــلا هــوادة ودون أن ينتابــه الفتــور والاستسلام، يغني جراح أمته النازفة، ويؤرخ انتصاراتها بحروف من نور، ويستنهض الهمم والعـزائم، ويبـثّ روح المقاومـة الـشعبية، حتـى رحـل الغـزاة الـدخلاء عـن أرضـنـا العربية.

ولم يكتـف بـذلك ،بـل اتجـه وبيقظـة فكريـة واعيـة ، للتـصدي للحكومـات الوطنيـة القديمـة ،ذات الاتجاهـات المتخلفـة عـن منـاحي الحيـاة الجديـدة والنهـضة الشاملة.

ودعـا شـاعرنا العـرب إلى مقارعـة الـصهاينة ونـزالهم قبـل أن يـستفحل خطـرهم فيهددوا الوجود العربي برمته. وحين غفت العيون واندلعت الخصومات العربية المريرة هنا وهناك...

استبيحت المقدسـات... وتواصـل ليـل المجـازر ـيِّ فلسطين المحتلـة. وأمـست الأمـة العربيـة ـيِّ حالـة صـعبة لا تحـسد عليهـا، ـيِّ هـذه الأيـام نتيجـة الـضعف الـشديد ـيِّ الواقع العربي ، وابتعاد بعض الحكّام عن الاحتكام إلى شعوبهم لاسيما فيما يتعلق بالقضايا القومية المصيرية.

[1] كان الشاعر يلتزم الواو ـيِّ (أبو ريشة) أينما وقعت لأنها شهرة ثابتة له. وقد عملنا برأيه.

وكان شعره يعلو ويصدح في كل مناسبة قومية، وفي كل حفلة وطنية، فتتلقفه الأسماع الظامئة، و تتنافس في نشره كبريات الصحف والمجلات السورية والعربية ، وتنشده الجماهير:

أمتي ، هل لك بين الأمم ... منبر للسيف أو للقلم

أتلقَّاك وطرفي مطرقٌ ... خجلاً من أمسك المنصرم

ويكاد الدمع يهمي عابثاً ... ببقايا كبرياء الألم !

أمتي ! كم غصة داميةٍ ... خنقت نجوى علاك في فمي

أي جرح في إبائي راعف ... فاته الآسي، فلم يلتئمِ

ألاسرائيل تعلو رايةٌ ... في حمى المهدِ وظلِّ الحرمِ !

كيف أغضيت على الذل ولم ... تنفضي عنك غبار التُّهمِ

ـ ٢ ـ

ومثلما اختلف دارسو حياة بدوي الجبل: محمد سليمان الأحمد، على تاريخ ولادته، اختلف دارسو حياة شاعرنا،على التاريخ الذي خرج فيه هذا الشاعر العبقري إلى الوجود، ولعلّ التفصيل التالي يبين هذا الأمر:

١ـ ذكر الدكتور سامي الدهان مرة أن عمر ولد سنة ١٩٠٨ م، وذكر مرة أخرى أنه ولد سنة ١٩١٠ م.

٢ـ ذكر سامي الكيالي أنه ولد سنة ١٩١٠ م.

٣ـ ذكر أحمد الجندي أنه ولد سنة ١٩٠٨ م.

٤ ـ ذكر روكس العزيزي أنه ولد سنة ١٩٠٩ م.

٥ ـ ذكر حنا الفاخوري أنه ولد سنة ١٩١٢ م.

٦ ـ ذكر عبد الله يوركي حلاّق أنه ولد سنة ١٩١٠ م.

٧ـ ذكر معدّ هذا الكتاب في الجزء الثالث من كتابه (يحدثونك عن أنفسهم) أنه من مواليد سنة ١٩١٠ م، استناداً إلى قول الشاعر نفسه، الذي ورد في سياق لقاء صحفي أجريته معه.

وفي هذا الشأن يقول شقيقه الدكتور ظافر أبو ريشة في رسالة أرسلها إلى الأستاذ الكبير عبد الله يوركي حلاق بتاريخ ١٣ حزيران سنة ١٩٩١ م ما لفظه:

« ولد أخي عمر في دار جدّه بعكا في ١٠ نيسان ١٩١٠ م قبيل الفجر، ولما بُشِّرَ جدي بأن ابنته وضعت غلاماً سمّاه عمر، وقرّبوه منه وأذّن له في أذنه، وهي عادة مستحبة ومألوفة في تونس (وغيرها) عند شيوخ القوم، إذْ أن جّده (لأمه) من تونس. أما منبج فهو البلد الذي عُيّن أبي فيه (قائم مقام) بعد رجوعه من عكا. أي حاكماً إدارياً أو مدير منطقة ».

ويعرف الشاعر نفسه بقوله:

«أنا بدوي من عشيرة بدوية هي عشيرة الموالي، من شيوخها، من كبارها، عند هذه العشيرة مميزات كبيرة منها الكرم والرجولة. لم يخضعوا يوماً لحكم، حتى الحكم التركي قاوموه.

جدي حارب الأتراك فأخذوه إلى استانبول. وجدي أبو والدتي بقيَ هناك، وتعلم هناك، ورجع إلى البقاع، إلى قرية اسمها القرعون. أنا لم أولد في القرعون، والدي

ولِد فيها. والذي تحضر لأن والده صار شيخ الإسلام. جدي الشيخ مصطفى كان متصوفاً كبيراً، تأثر بجدي والد أمي، والذي رجع لتاريخ أجداده، فحكم عليه الأتراك بالإعدام، لأنه كُلّف بقتل الأرمن ولم يقتلهم. أرسلهم إلى العشيرة، فحوكم غياباً. وحكم عليه بالإعدام ، والذي أنقذه من الإعدام هو الشيخ أسعد الشقيري، والد الزعيم المعروف أحمد الشقيري من عكا».

بقي أن تعرف من أين جاءت هذه التسمية «أبو ريشة» ؟

يقول الأديب يعقوب العودات المعروف بلقب (البدوي الملثم) ما لفظه:

« أسرة أبو ريشة في الأصل فرع من آل القادري المعروفين في البقاع. وتنتسب إلى الشيخ علي القادري، وهو أول من كنّي بـ (أبو ريشة) بعد أن خلع عليه أحد سلاطين بني عثمان عمامة تعلوها ريشة مذهبة ».

وإلى هذا الرأي يميل المؤرخ الشهير عيسى اسكندر المعلوف. ويحضرني في هذا السياق الطرفة التالية:

كان الشاعر المهجري الياس فرحات يزور صديقه وصفيه عمر أبو ريشة، عندما كان شاعرنا سفيراً لسورية في البرازيل، وبينما كان الشاعران الكبيران في حديث ودي، دخلت عليهما «رفيف» كريمة الشاعر عمر أبو ريشة، وكلها رقة وأناقة وحيوية، وكانت في ربيعها العاشر، فقال الياس فرحات على الفور وبصورة ارتجالية:

رفيــــفُ لأنــــتِ رفيــــفُ المنـــى
وأنــــت الـــسعادةُ في العيــــشةِ

أخـــاف عليـــك نـــسيم الـــصبا
لأن أبـــــاكِ.......................

فقاطعه عمر بقوله: « أبو ريشة » !!

فقال فرحات بلهجته اللبنانية الظريفة: « **يقبروني اللي بيفهموا** »....

وفي ما يلي لمحات خاطفة عن الشعراء من أهل عمر:

ـ شافع أبو ريشة، والد الشاعر، كان شاعراً موهوباً. كتب بضعَة قصائد في رثاء أمير الشعراء أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، والبطل الليبي عمر المختار.

ـ خير الله اليشرطية، والدة الشاعر، سيدة نبيلة في حديثها وصفاتها. لم تتعلم في مدرسة ولكنها تكتب وتقرأ على سجيتها وبعفويتها.

ـ زينب أبو ريشة، شقيقة الشاعر، شاعرة بليغة وناثرة مجيدة.

ـ ظافر أبو ريشة، شقيق الشاعر، له مجموعات شعرية مطبوعة، رثى شقيقه عمر بقصيدة مؤثرة.

ـ مريم القادري، والدة أبيه، كانت محدثّة موهوبة، ولها اهتمامات بالتصوف الإسلامي فكان الخاصة والعامة يستمعون إليها بكل جوارحهم.

يروى عنها أنها كانت تعطي درساً في المسجد الأموي بدمشق، فاعترضها أحد المتزمتين قائلاً بتهكم: استري يدكِ يا حرمة ..!!

فردت عليه دون تلعثم: أغضض بصرك يا جاهل، أين أنتَ مما نحن فيه ؟

فاعتذر منها وقال: سامحيني. ثم وبخته ثانية في قولها: أيَّ بصرٍ أغضضت ياهذا يا محترم ؟ ثم أسمعته هذا البيت:

وإغضاء طرف العين ليس بنافعٍ

إذا كان طرفُ القلب ليس بمُطرق

درس عمر في صغره القرآن الكريم، كعادة أبناء جيله، وتعلم الإنكليزية في سن مبكرة، ثم استقر مع أسرته في حلب، حيث تابع هناك تحصيله الدراسي. ومن

حلب الشهباء توجه إلى بيروت ودخل الجامعة الأمريكية. ثم أوفده والده إلى مدينة «مانشستر» في إنكلترا، لدراسة الكيمياء، ولكن عشقه للشعر جعله ينصرف عن دراسة الكيمياء وتعقيداتها، وطبيعة الألوان والأصبغة على الأنسجة القطنية والصوفية.

وفي «مانشستر» وكان ذلك في عام / ١٩٣٠ م / خفق قلبه للحب، إذْ أحب فتاة انكليزية وأرادها زوجة له، وقدم إلى حلب ليحمل إليها هدايا أهله ورضاهم بالزواج، من باب أخذ العلم، فلما عاد إلى «مانشستر» قيل له إنها ماتت، فرثاها بقصيدة وجدانية شدت الأنظار إليه، ومنها قوله:

ما أرى الموت مطفئاً شعلة الحُسن

ولا بالمزيل سحرَ الجمال

زادك الموتُ فوق حسنكِ حسنا

وكساهُ ببردةٍ من جلال

ويرجع الشاعر إلى وطنه عام / ١٩٣٢ م /، ليكتب صفحة جديدة في ديوان الشعر العربي الخالد، ويرضي نزعته القومية والوطنية، من أجل الاستقلال والوحدة العربية الشاملة، فكانت تلك القصائد المدوية التي أطلقها شاعرنا من على المنابر:

كم نَبَتْ أسيافنا في ملعبٍ

وكبت أفراسنا في ملعبِ

من نضالٍ عاثرٍ مصطخبٍ

لنضالٍ عاثرٍ مصطخبِ

شرف الوثبة أن تُرضي العلى

غُلِبَ الواثبُ أم لم يُغلبِ !

أو كقوله:

هيكـلَ الخلـد لا عَـدَتْك الغـوادي

أنـت إرث الأمجـاد للأمجـادِ

بوركـتْ في هـواك كـلُّ صـلاةٍ

صـعّدتها حنـاجر العِّبـادِ

.٣. وظائفه الرسمية:

ـ عيّن عمر أبو ريشة بعد عودته من إنكلترا إلى ربوع الوطن، مديراً لدار الكتب الوطنية في حلب، وبقي في هذه الوظيفة حتى سنة / ١٩٤٩ م /، حين ألتحق بالسلك الدبلوماسي.

ـ عيّن سنة / ١٩٤٩ م / ممثلاً لسورية في البرازيل.

ـ عيّن سنة / ١٩٥٠ م / سفيراً لسورية في البرازيل.

ـ عيّن سنة / ١٩٥٢ م / سفيراً لسورية في الأرجنتين.

ـ عيّن سنة / ١٩٥٤ م / سفيراً لسورية في الهند.

ـ عيّن سنة / ١٩٥٩ م / سفيراً للجمهورية العربية المتحدة في النمسا.

ـ عيّن سنة / ١٩٦١ م / سفيراً لسورية في الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ عيّن سنة / ١٩٦٤ م / سفيراً لسورية في الهند.

ـ أحيل سنة / ١٩٧١ م / على التقاعد، فعاد إلى لبنان ليجعل بيروت مقراً له، ولكن اندلاع الحرب الأهلية الدامية فيها، جعله يغادر بيروت بعد أن تعرض منزله للقصف العشوائي، فراح يتنقل في بلاد الله الواسعة، في الشرق وفي الغرب، وإن كان يقضي معظم أوقاته، على حد تعبير الدكتور الشاعر جميل علوش، في المملكة العربية السعودية، وبتحديد أدق في المنطقة الشرقية من المملكة حيث يعمل ابنه.

ويروي الأديب الكبير عبد الله يوركي حلاق، صاحب مجلة الضاد الحلبية، هذه القصة الواقعية المستمدة من صميم حياة الشاعر عمر أبو ريشة، ونحن إذْ ننشرها فإنما نهدف إلى تسليط الضوء على جوانب مجهولة من حياته، أو معروفة على نطاق ضيق:

« بتاريخ الثلاثين من شهر آذار عام / ١٩٤٩ م/، وقع انقلاب خطير قام به الزعيم حسني الزعيم المولود في حلب سنة ١٨٩٩ م، وكان أول انقلاب عسكري عرفته البلاد العربية وأجمع الشعب على تأييده - في البدايات -. ولما صدر المرسوم المتعلق بتأليف الوزارة في مساء السبت ١٦ نيسان ١٩٤٩م تحت رقم ٢٠٩، احتفظ الزعيم لنفسه برئاسة الوزارة وبوزارتي الدفاع والداخلية، وأسندت بقية المناصب الوزارية إلى الأمير عادل أرسلان، الأستاذ خليل مردم بك، السيد نوري الأبيش، السيد حسن جبارة، الأستاذ فتح الله الصقال، والأستاذ أسعد الكوراني وهما من أكبر المحامين في حلب ومن أحسن الناس سمعة وخلقاً وأدباً.

كان الزعيم حسني الزعيم، والأستاذان الصقال والكوراني، والثلاثة من حلب، على إعجاب كبير بالشاعر عمر أبو ريشة الذي كان يومئذ مديراً لدار الكتب الوطنية في حلب - كما ذكرنا سابقاً -، وكانت الحكومة في حاجة إلى سفراء ووزراء مفوضين. فاقترح الأستاذ فتح الله الصقال أن يعين الأستاذ أبو ريشة سفيراً لنا في البرازيل. فاعترض السيد حسن جبارة وقال إن تعيينه مخالف للقانون، لأنه لا يحمل شهادة جامعية تخوله هذه الحق وتتيح له تسلم هذه السفارة، وعندئذ تصدى له الأستاذ الصقال قائلاً: ولكن عمر أكبر من كل الشهادات، فهو يجيد اللغة الإنكليزية، كما يجيدها أحسن علمائها ويعرف الفرنسية، وفضلاً عن ذلك فإنه ذو عبقرية شعرية ترفعه إلى مصاف أعظم الشعراء. وأبناؤنا العرب في البرازيل يعشقون الشعر العربي، وأنا متأكد أنه سيجمع القلوب من حول سورية وسيؤدي لبلاده أجلَّ الخدمات. وأيَّدَ الزعيم والأستاذ الكوراني وبقية الوزراء الأستاذ الصقال وبقيَ حسن جبارة مخالفاً. وهكذا اسند منصب سفارتنا في البرازيل إلى عمر أبو ريشة فكان أحسن سفير عرفته تلك البلاد الواسعة، وجاليتنا العربية هناك،

وأقطاب الشعر العربي في ذلك المنقلب من الأرض من أمثال: الشاعر القروي، والياس فرحات، وشفيق معلوف، وشكر الله الجر، وميشيل مغربي ونعمة قازان.

وكان عهد عمر أبو ريشة في البرازيل عهداً ذهبياً، ارتفع فيه اسم العرب والعروبة، وكان السفير المخلص الحريص على خدمة مواطنيه».

٤ . ألقابه العلمية ومناصبه الفخرية:

- عيّن عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق.

- عيّن عضواً للأكاديمية الأدبية البرازيلية.

- عيّن عضواً للمجمع الهندي للثقافة العالمية.

- دكتوراه ثقافية منحت لعمر أبو ريشة، من الجامعة العالمية، وبالتعاون مع الطاولة المستديرة لجامعة الآداب في العالم في توكسون أديزونا.

- مُنح العديد من الأوسمة من دول مختلفة، عربية وأجنبية، وكان آخرها وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الأولى، من الرئيس اللبناني الأسبق الياس الهراوي.

تراثه الشعري المطبوع:

- ديوان بعنوان (شعر) صدر في حلب سنة ١٩٣٦.

- ديوان بعنوان (من عمرأبو ريشة شعر) صدر في بيروت سنة ١٩٤٧.

- ديوان بعنوان (مختارات) صدر في بيروت سنة ١٩٥٩.

- مجموعة شعرية بعنوان (غنيت في مأتمي) صدرت في دمشق سنة ١٩٧١.

- ديوان عمر أبو ريشة (المجلد الأول) صدر عن دار العودة ـ بيروت سنة ١٩٧١.

- مجموعة شعرية بعنوان (أمرك يا رب) صدرت في جدة ـ المملكة العربية السعودية سنة ١٩٨٠. وقد وصف الشاعر هذه المجموعة الشعرية «بأنها من القصائد والأبيات المتفرقة أسمعت ـ الملك ـ الفيصل بعضها في السعودية، وبعضها في الولايات

المتحدة الأمريكية أيام كنت سفيراً لسورية في واشنطن وممثلاً لها في الأمم المتحدة في نيويورك في أوائل الستينات.

وكل ما في دفتي هذا الكتاب من شعر لم ينشر من قبل في ديوان من دواويني - السابقة - باستثناء القصيدتين « مقدمة الملحمة » و « خالد بن الوليد »، اللتين أحببت أن أُدخلهما في نطاق هديتي المتواضعة هذه، لأني ألقيتهما أمامه في مكة المكرمة وكان لهما في نفسه النبيلة الأثر الطيب».

- مجموعة شعرية بعنوان (من وحي المرأة) صدرت في دمشق - دار طلاس سنة ١٩٨٤ م.

- ديوان بالإنكليزية بعنوان (التطواف) صدرت في بيروت عن دار الكشّاف سنة ١٩٥٩.

- مسرحية شعرية بعنوان (ذي قار) صدرت في حلب سنة ١٩٣١ م.

- مسرحية (محكمة الشعراء).... بالإضافة إلى مسرحيات شعرية أخرى لم تخرج للنور بعد لأسباب مجهولة....

ويشير الناقد الدكتور جميل علوش إلى حقيقتين هامتين في شعر عمر أبو ريشة:

الأولى: أنَّ عمر كان يعاود النظر في قصائده القديمة التي يُعّدها للنشر ثانية. وهذه المعاودة تسوقه إلى أشكال من التبديل والتغيير في عنوان القصيدة،وفي هيكلها وفي تاريخ نظمها.

الثانية: أنَّ عمر لسبب أو لآخر يحرص على إخفاء بعض شعره. وكمثال على ذلك نذكر قصيدة له بعنوان (بنت قاسيون)، نظمها في رثاء الشهيد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وقصيدة أخرى في رثاء الشهيد العقيد عدنان المالكي، الذي استشهد غيلة في الملعب البلدي بدمشق، في ظروف قد تبدو للمؤرخ المحايد غامضة وبالغة التعقيد....

والقصيدتان المشار إليهما من شعره الرائع. ولا نعرف السّر الدفين في حرصه على عدم نشرهما في دواوينه. ولا تنحصر المشكلة في قصيدة أو قصيدتين، فيبدو أن عمر يخفي الكثير من هذا القبيل. وتطلق الأديبة زليخة أبو ريشة قريبة الشاعر هذه المفاجأة الأدبية عندما تكتب في إحدى المجلات الأدبية ما معناه:

«أعتقد أن أجمل شعر عمر أبو ريشة لم ينشر بَعْدُ. وعلى الدارسين أن يتمهلوا في أحكامهم حتى يطلعوا على قصائد تفوق ما اشتملت عليه دواوينه عدداً أو حجماً وقيمة فنية».

ـ ٥ ـ رحيل الشاعر:

انتقل الشاعر إلى جوار ربه، ليلة الأحد الموافق ١٩٩٠/٧/١٥ بعد أن أصيب بجلطة دماغية مفاجئة، أقعدته الفراش على أثرها لمدة سبعة أشهر في مشفى الملك فيصل في الرياض. بعد ذلك تم نقل جثمانه المسجى بطائرة ملكية من الرياض إلى حلب، حيث جرت مراسم دفنه، وأقيمت له مآتم التأبين والرثاء في حلب و دمشق وبعقلين في لبنان، ضمن أجواء رسمية وشعبية. ولا غرابة في ذلك فقد شغل الناس في حياته ومماته، واحتل مكانة مرموقة وبارزة بين شعراء العرب الكبار في القرن العشرين. رحمه الله وأسقى ضريحه بوابل رحمته، بمقدار حبه العميق لوطنه، وللعرب في كل مكان، والإنسان أينما وجد.

ونورد هنا آخر ما كتب عمر أبو ريشة من شعر تحت عنوان « رسالة » وفي هذه المقطوعة الشعرية المؤثرة يخاطب قرينته السيدة منيرة مراد:

رفـــــيقتي لا تخـــــبري إخـــــوتي

كيـف الـردى، كيـف علـيَّ اعتـدى

إن يـــــسألوا عـــــني وقـــــد راعهـــــم

أن يبـــــصروا هيكلـــــي الموصـــــدَ

لا تجفلـــــي، لا تطرقـــــي خــــشعةً

لا تـــــسمحي للحــــزن أن يولــــدَ

قــــولي لهـــم ســـافر. قـــولي لهـــم

إنَّ لــــــه في كوكــــــبٍ موعــــــدا

والحق يقال فإن شاعرنا الكبير كان معتداً بنفسه، ينظر إليها نظرة شامخة، ولم يكن ذلك ينبعث عن غرور وعنجهية، وإنما عن قناعة شخصية تجعله متميزاً بين شعراء عصره. فهو لم يهادن الظلم ولم يصمت على ضيم، ولم يسع إلى مكاسب شخصية. وكان متباهياً بما تجود به قريحته، لا يروق له الاستماع إلى آراء أهل النقد. كان سيفاً مسلطاً على الخونة والعملاء وضعاف النفوس، لأنهم يتحملون وزر مسؤولية عما أصاب الأمة العربية المكافحة من ويلات وكوارث ونكسات.

عمر أبو ريشة.... وحديث النفس

في نهاية السبعينات من القرن الماضي، كنت مسافراً دون أن أتزود بالخيال والسحر والعطر والدلال، إلى دولة الأمارات العربية المتحدة، بهدف تحقيق واحدة أو أكثر من فوائد السفر التي تحدث عنها أجدادنا العرب القدامى....

وبعد أن أقلعت الطائرة العملاقة من مطار دمشق الدولي وهي من طراز (جامبو جيت ٧٤٧) بالتمام والكمال، ووصلت إلى الارتفاع المطلوب، أكثر من ثلاثين ألف قدم، أضاءت لوحة أنيقة تطلب منا فك الأحزمة، وبعد دقائق اكتشفت أن أحد المضيفين الجويين هو صديقي القديم، الذي شاهدته لأول مرة أثناء تأديتنا للخدمة العسكرية الإلزامية في موقع قريب من ضريح البطل يوسف العظمة، بظاهر جلّق، كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي. وبعد التحيات الطيبات والسؤال عن الأحوال، أقسم عليَّ صديقي القديم أن أنتقل - مشكوراً - من الدرجة السياحية إلى الدرجة الأولى. حاولت الاعتذار لئلا أحرجه لكنه أصر على رأيه، فانتقلت بتثاقل إلى حيث أشار، إلى الطابق الثاني، فشاهدت الشاعر الكبير عمر أبو ريشة، يجلس هناك بكامل أناقته ووسامته وشموخه، وفي صمت ووقار وأرستقراطية سلوكية بادية للعيان. ولا غرابة في ذلك فقد أمضى أكثر من عشرين سنة كسفير لسورية في العديد من الدول، وفي العمل الدبلوماسي الصعب.

وحين جاء صديقي القديم وهو يجر عربة المأكولات الفاخرة، همست بأذنه دون أن أثير الانتباه بأن الشاعر الكبير عمر أبو ريشة، هو معنا في هذه الرحلة، وحبذا لو وجهت تحية تكريمية له من خلال (ميكروفونات) الطائرة، راقت هذه الفكرة الصائبة لصديقي المحب لأهل الأدب وأهل الذوق، وأخبر المعني بالأمر باسم هذه الشخصية الأدبية الفذة التي ذاعت شهرتها الآفاق وأثارت ردود أفعال متباينة

بين محبيه وبين خصومه، من جراء مواقفه الوطنية الجريئة، وبالفعل سمعت كلمات الترحيب الحماسية، لكنها ليست موجهة للشاعر، بل لأحد الفنانين المحليين الذي كان متجهاً إلى دولة الأمارات الجميلة مع بعض الفنانين من أجل إحياء حفلة فنية هناك. تضايقت من هذا الموقف المشين، ولذت بالصمت، واستعنت بالدعاء سلاح المؤمن المعاصر في هذه الأيام. وقلت: ليس بالإمكان أسوأ مما كان. ومن حسن الطالع أن الشاعر الكبير لم ينتبه لما حدث حوله من مفاوضات سرية وهمسات وأمنيات لم تكلل بالنجاح.

وبعد أن عرّفت الشاعر باسمي، أنا العبد الفقير، وبمهنتي كصحافي، وذكّرته - أيضاً - بلقائي الأول به في منزله العامر في بيروت، ثم لقائي الثاني به في منزل عديله الأستاذ الدكتور مدني الخيمي، رئيس جامعة دمشق آنذاك، أستأنس بحديثي وانفرجت أساريره، وخرج عن صمته المهيب وذهوله المرحلي، وفتح قلبه دون تحفظ، فكانت هذه الأسئلة العفوية:

❖ **هل من ذكرى أو قصة طريفة ما تزال تتذكرها بعد أن تقاعدت من العمل الدبلوماسي ؟**

- في البرازيل حيث مثلت بلادي وزيراً مفوضاً، كان عليَّ أن أقدّم أوراق اعتمادي لرئيس الجمهورية الجنرال (دوترا)، في مقره الصيفي في مدينة (بيتروبوليس). ذهبت إلى هناك وتناولت طعام الغداء في أحد فنادق المدينة، وقد ألقيت بالملف حيث أوراق الاعتماد إلى جانبي غافلني النعاس لاستيقظ بعد دقائق وأرى صالة المطعم وقد انقلبت رأساً على عقب، والمقاعد فوق الطاولات.

وقد اختفى الملف.. قفزت من مكاني أبحث عنه هنا وهناك... وقد اقترب الموعد.. لكن جهودي ذهبت سدى مع أدراج الرياح.. خرجت من الفندق المشؤوم وأنا أتخيل الفضيحة المدوية التي ستنتشر في الأوساط الدبلوماسية، وعلى صفحات الجرائد، انتشار النار بالهشيم. وفيما كنت أضع رجلي خارج الفندق سألني النادل قائلاً:

❖ **ألم تفتقد مغلفاً كنت قد وضعته بجانبك ؟**

علمتني تلك الحادثة.. أننا نجني الوفاء والإحسان حيث نزرع الكرم والود. فقد كنت أجزلت العطاء لذلك الفتى، فأخذ الملف حين شاهده بيد زميله واحتفظ به، وسلمني إياه قبل تقديم أوراق اعتمادي بدقائق. فاتجهت نحو باب المقر الصيفي لرئيس الجمهورية وكان بجوار مطعم الفندق.

. أول قصيدة نظمتها ؟

. في مطلع العشرينات من القرن العشرين، كنت طالبا في المدرسة الانجيلية في بيروت. وقد أعطيت أستاذ اللغة العربية قصيدة زعمت أنني نسختها عن مخطوطة نادرة، كتبها النابغة الذبياني بخط يده ! فصدّق الأستاذ كلامي بعدما قرأ معانيها وتفحص مفرداتها، واحتفظت بها إدارة المدرسة كوثيقة نادرة. وجاء في تلك القصيدة المزعومة:

أعقــل قلوصــي أيهــذا الحــادي
أنـــا بربـــع بثينـــة وســـعاد

ربـــع عفتــه الــريح في إعــصارها
إلاّ بقايـــا النـــؤي والأوتـــاد

فوقفــت والمعكــاء تــرزم حــسرة
ولغامهـــا متتـــابع الأزبـــاد

ومن الطريف.... أن تلاميذ المدرسة حفظوا أبياتها على أنها قصيدة مجهولة للشاعر الجاهلي، ولا تزال حتى هذا اليوم محفوظة في أرشيف الجامعة الأمريكية في بيروت.

❖ **أول فتاة ظهرت في فضاء حياتك ؟**

. كنت طالباً في المرحلة الثانوية.. قبلتها بحرارة... فما احمرت وجنتاها.. فوصفتها بقصيدة (طهر).

❖ **ما هو تعريفك الأخير للحب ؟**

ـ الحب هو الوطن، هو الإنسان، البشرية، الكون اللامرئي. وللحقيقة والتاريخ الأدبي فأنا لم أجرح شعور المرأة، أو أخدش كرامتها في أية قصيدة من قصائدي.

❖ **ماهو السبب الذي دفعك إلى تعلم ست لغات عالمية ؟**

ـ خلال عملي كسفير لسورية، في العديد من الدول الأجنبية، كنت اضطر إلى دراسة لغات البلاد التي أوفد إليها، لأن المرء الذي يريد أن يتذوق آداب الشعوب، ويتفهم تراثها المضيء، يترتب عليه أن يقرأ آدابها باللغة الأم، وليس عن طريق الترجمة، لئلا يفقد النص جماله، والمعنى خفاياه. وأذكر أنني قرأت بالإنكليزية كتاب (فاوست) للشاعر الألماني العظيم (غوته)، راعني رداءة الترجمة وركاكة المعاني، فطلبت من أحد الأساتذة أن يعلمني اللغة الألمانية، وبعد مدة من الزمن أجدتها قراءة وكتابة. وحين قرأت (فاوست) بالألمانية اكتشفت مدى تشويه الترجمة للأعمال الأدبية الخالدة.

❖ **تعقيب معدّ الكتاب:**

ـ حين ترجم الشاعر الإنكليزي أدوارد فيتزجرالد رباعيات الشاعر عمر الخيام إلى الإنكليزية، لم تكن ترجمته وفية للأصل الفارسي، وإن بدت جميلة رائعة، فهي أفكار وخواطر إنكليزية، على الرغم من طابعها الشرقي العام. كما أنه نظم ست عشرة رباعية ليس لها أصل حقيقي.

وهي نسبة ليست يسيرة إذا ما قيست بمجموع الرباعيات التي ترجمها، وهي تسع وسبعون رباعية في الطبعة الأولى.

❖ **هل نظمت الشعر بلغة أجنبية ؟**

ـ نعم نظمت العديد من القصائد باللغة الإنكليزية. وحين وقفت أمام الرئيس الأمريكي جون كنيدي لأقدم إليه أوراق اعتمادي كسفير لسورية في واشنطن، أسمعته بعض هذه القصائد.

❖ **ماذا كانت ردة الفعل ؟**

ـ كان مرتاحاً لما يسمع. وطلب من جنراله رئيس التشريفات أن يلغي له جميع مواعيده في هذا اليوم. وفي اليوم التالي ظهرت صور اللقاء في بعض الصحف الأمريكية وتحت إحداها هذا التعليق الطريف:

(السفير العربي الذي جعل الرئيس كنيدي يرقص الروك أندورل).

❖ **أحب الشعراء غير العرب إليك ؟**

ـ أحب الشعراء إليَّ هم: بودلير، وشلّي، ولوركا، ودياز، وناظم حكمت. مع التنويه بأنني أجيد التركية والأسبانية.

ـ هل تتابع الشعر الحديث ؟

ـ نعم أقرأ الكثير منه ولا أفهمه... !

❖ **ألا تعتقد أن شعرك أيام الشباب، أيام الغضب والثورة، أقوى من شعرك الحالي ؟**

ـ ليس صحيحاً. هذه فكرة عقيمة سطحية. شعري الآن أعمق منه في مرحلة الشباب والاندفاع الحماسي. وفي العمق تكمن الروعة وألق العبقرية وشذاها، ونبل الأحاسيس والمثل العليا المستمدة من أجدادنا العرب.

❖ **ما هو سر إعجابك الشديد بأبي فراس الحمداني ؟**

ـ كان شاعراً عظيماً لم يتكسب من شعره. وامتاز بصدق الشعور وحلاوة اللفظ، ووثبة الفكر الخلّاق، لأنه سبق عصره وزمانه، كما أنه ظلم خلال حياته بصورة فظيعة، حتى إن ابن عمه كان حيادياً بشأن إطلاق سراحه ودفع فديته للروم حين وقع أسيراً في أيديهم. وأخيراً مصرعه المأساوي وهو في ذروة العطاء. وأعتبر قصيدته التي مطلعها: (أراك عصي الدمع شيمتك الصبر) أعظم قصائده من ناحية الجزالة والنغم الرخيم الشجي والصدق. وأعتقد بأن البيت الشهير الذي يقول:

معللتي بالوصل والموت دونه ... إذا متُّ ظمآنا فلا نزل القطر

هو ليس من نظم (زين الشباب...) بل أنه قد دس في هذه القصيدة الخالدة. فالشاعر الذي يقول:

ونحـــن أنـــاس لا توســـط بيننـــا

لنـــا الـــصدر دون العـــالمين أو القـــبر

لا يمكن أن ينطق ببيت شعري، ليس من شيم العرب الأقحاح، لأنه ينطوي على أنانية فردية مفرطة وعلى انعزالية شديدة.

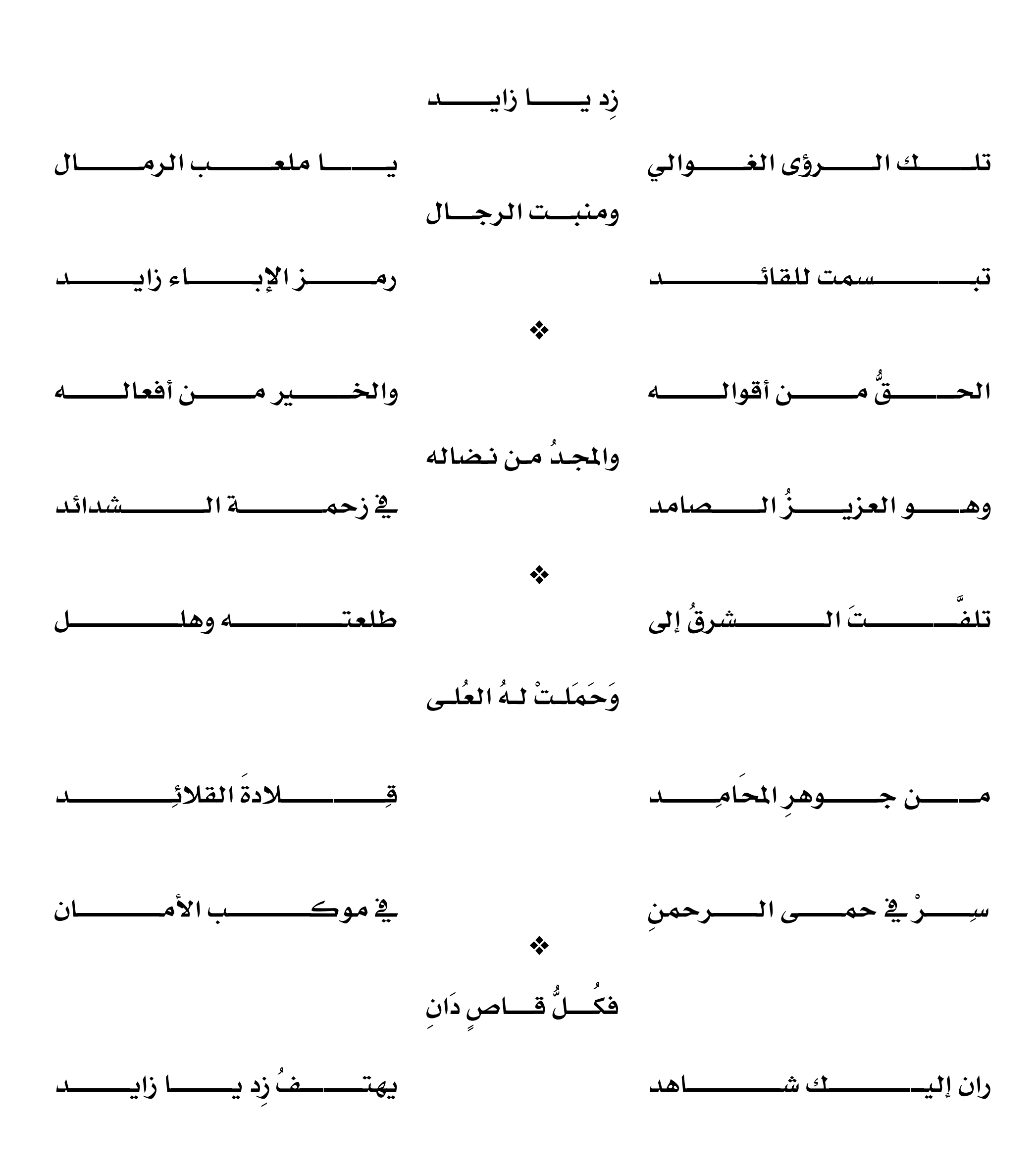
❖ يلاحـظ أن البيـت الأخـير في قـصيدتك هـو البيـت المفاجـأة، أو الـصاعقة، ألا تؤثر هذه الحالة على وحدة القصيدة ؟

ـ أنا شاعر قصيدة ولست شاعر البيت الشعري اليتيم. القصيدة عندي وحدة زمانية ومكانية ونفسية لا تتجزأ أختمها عادة بما أُطلق عليه البيت المفاجأة.

❖ هنـاك قصائد شهيرة لـك قصيدة (في طائرة) علـى سبيل المثـال الـتي نظمتها سنة /١٩٥٣م/ وهي تتحدث عن مشاعر فتاة أسبانية تجاه أجدادها العرب القدامى، دون أن تعرف جنسية من تحدث، وجدنا هذا الموضوع يظهر في قصيدة (غرناطة) الـتي نظمها الشاعر الكبير نزار قباني في سنة /١٩٦٥ م / كيف تفسر هذا التشابه؟

ـ أنا فاتح باب التجديد الذي دخله الكثيرون من الشعراء. بعضهم خرج بمهارة وسرعة فائقة، والبعض الآخر لم يخرج بعد، لم يخرج من عباءتي، الذي تقصده هنا ليس سرقة شعرية، كما يقول النقاد القدامى، بل أفضل أن استعمل لفظة (التأثير) و (التأثر) حيث تأثر صديقي الشاعر الكبير نزار قباني بهذه القصيدة فنسج على منوالها...

❖ أخـيراً طلبـت مـن الـشاعر الكبير أن يزودنـي بقـصيدة غير منـشورة في دواوينـه المطبوعـة علـى سـبيل الـذكرى. وافـق علـى ذلـك بعـد تـردد وحـيرة واشـترط علـيّ ألا أنشرها إلاّ بعـد أن يـسافر إلى الكوكـب النـائي، يقـصد بعـد رحيلـه، والقـصيدة المشار إليهـا نظمهـا مـن وحـي أحـدى زياراتـه للإمـارات العربيـة المتحـدة. وفيمـا يلـي الـنص الكامل لما نظمه شاعرنا المبدع:



زِد يـا زايـد

تلك الرؤى الغوالي ... يا ملعب الرمال

ومنبت الرجال

تبسمت للقائد ... رمز الإباء زايد

❖

الحقُّ من أقواله ... والخير من أفعاله

والمجدُ من نضاله

وهو العزيزُ الصامد ... في زحمة الشدائد

❖

تلفَّتَ الشرقُ إلى ... طلعته وهلل

وَحَمَلتْ لهُ العُلى

من جوهرِ المحَامِد ... قِلادةَ القلائِد

سِرْ في حمى الرحمنِ ... في موكب الأمان

❖

فكُلُّ قاصٍ دَانِ

ران إليك شاهد ... يهتفُ زِد يا زايد

وتتجدد لقاءاتي مع الشاعر الكبير عمر أبو ريشة. وفي كل لقاء كنت أطرح عليه أسئلة عفوية تراعي مقتضى الحال، فكان هذا الحوار الذي دار في منزل

شقيق الشاعر الأديب ظافر أبو ريشة، كان ذلك في صيف سنة /١٩٨٨ م/ وبحضور الزميل الصحافي خيري عبد ربه:

❖ **ماذا يقلقك في هذه الأيام ؟**

ـ العقدة النفسية التي تسيطر عليّ هي تداعيات الخطر الصهيوني الحاقد على أبناء الأمة العربية دون استثناء. ولست أذكر أنني اعتليت منبراً، إلاّ وأشرت إلى خطر الصهيونية العالمية وما تعدّه لنا في الخفاء من دسائس ومؤامرات...

❖ **هل تغير موقفك من الشعر الحديث ؟**

ـ نعم أقرأ الكثير منه ولا أفهمه. أسمع بربك هذا المقطع الشعري،أو هذه الصورة الفجة، من مقدمة نثرية مرافقة للقصيدة (الدمشقية):

ممتطياً صهوة سحابة

حصان العشق

أعود بعد ستين عاماً

لأبحث عن حبل مشيمتي

وعن الحلاّق الذي ختنني !

وعن القابلة التي رمتني في طست تحت السرير !!

عائد.. لأملأ جيوبي

بالقضامة، والجانرلك، واللوز الأخضر

أتغلغل في سوق البزورية.. الخ....

ماذا تعني هذه الأقوال وهذه العبارات!؟ حين سألتقي بنزار قباني سأكون صريحاً معه وسوف ألومه على هذه المفردات وتلك الصور الطفولية. ولا يهمني إذا

غضب مني أو تضايق. كفانا مجاملات... ولتكشف الأوراق.. وليعد كل شاعر إلى حجمه الطبيعي.

❖ **ما هو أغرب ما شاهدته خلال عملك الدبلوماسي ؟**

ـ أغرب ما شاهدته معبد «كاجراو» في الهند. وفي هذا المعبد المدهش مجموعة كبيرة من التماثيل المنحوتة بعناية فائقة، حتى كأنها تريد أن تنطق، وهي تهدف إلى تصوير تسامي وعظمة الإنسان من ناحية، وتدنيه عبر غرائزه الطبيعية والشاذة من ناحية ثانية. وفي أحد الأيام شاهدت امرأة أمريكية هرمة تقول متهكمة بصوت عالٍ:

«أقذر من هذه المناظر والتماثيل صانعوها» !!

طبعاً تضايقت، بل استنكرت، قولها الجارح المؤذي بحق الشعب الهندي العريق. فكتبت قصيدة من وحي هذه الحالة، ومما جاء فيها:

كـــــم دميـــــــةٍ، ذلَّ الرخـــــــامُ ... علـــــى انتفاضـــــتها وهـــــان

طلبـــــتْ فـــــأعطى واشــــــرأبَّتْ ... فـــــانحنى وقَـــــستْ فَـــــلان !

كـــــاجراو.. هـــــل مـــــن حرمـــــةٍ ... لـــــك عنـــــد رأيهـــــا تُـــــصانْ

كـــــم زائـــــرٍ أدمـــــى فـــــؤادَكَ ... مـــــا أســـــرَّ ومـــــا أبـــــان

أخفـــــى الرضـــــى، وتظـــــاهرت ... بالـــــسُخط عينـــــاه اللّتـــــان

تتحريـــــــان وتـــــــنهلانِ ... وتَـــــــسْكران وتحلُمـــــــانْ

مزَّقْـــــتَ أقنعـــــةَ الحيـــــاة ... ومـــــا عليهـــــا مـــــن دِهـــــانْ

وجلوتهـــــــــــا في عُرْيهـــــــــا

فترفَّعَـــــــــتْ بعـــــــــد امتهـــــــان

❖ **ما هو الجديد عندك ؟**

ـ هناك دراسة مطولة عن «٦٣» شاعرة في الجاهلية، وأكثر من مئة شاعرة في العصر الإسلامي، لم يعرف عنهن في الوطن العربي إلاّ معلومات متناثرة. تجد طائفة من أخبارهن في كتاب (الأغاني)، وأعتبر تراثهن الشعري من أروع ما قرأت في حياتي. وإليك ما قالته الشاعرة عشرقة المحاربية. وهو برأيي من أروع ما قرأت:

لقـد ركـب العـشاق في حلبـة الهـوى

فجهزتمـو سـبقاً وكنـت علـى مهلـي

فمـا لـبس العـشاقُ مـن حلـل الهـوى

ومـا خلعـوا إلاّ الثيـابَ الـتي أبلـي

ولا شـربوا كأسـاً مـن الحـبِّ حُلـوةٍ

ولا مـــرةً إلاّ وشـــربهمو فـــضلي

بعد هذه الرحلة الطويلة لشاعرنا الفذّ، في رحاب الشعر وعلى دروب القوافي، وزياراته للكثير من دول العالم، وحصوله على «١٧» دكتوراه فخرية من جامعات عربية وعالمية، ما يزال شاعرنا الكبير يتابع نشاطاته الجمة، عن طريق حواراته ومحاضراته الفكرية في الجامعات والمؤسسات التعليمية، وإقامة الأمسيات الشعرية في العواصم العربية والأوروبية، من أجل تعريف الآخرين بتراثنا المشرق، وعبقرية اللغة العربية، وجمالياتها، مستعيداً انتصارات العرب عبر عصور التاريخ. بالإضافة إلى ذلك فإن شاعرنا ـ كما ذكر لي ـ ما يزال يحتفظ بأعمال شعرية ودراسات أدبية، ما تزال غير مطبوعة أو متداولة، ولعلها تصدر في المستقبل القريب، لأنها تمثل درة في الأدب العربي، وقيمة أبداعية وفنية جليلة الشأن.

عمر أبو ريشة

مختارات شعرية

خاتمة الحب

تتحدث عن فتاة أحبها شاعرنا وأعجب بها وأرادها زوجة، قدم من لندن، حيث كان يتابع دراسته إلى حلب، من أجلها ليحمل إليها هدايا أهله ورضاهم بالزواج، فلما عاد إلى لندن قيل إنها ماتت، فتحطم أمله، وهدّه الحزن، فنظم في ليلة واحدة رثاءها وصوّر حبه العنيف في قصيدة لفتت إليه الأنظار، وتناولها النقاد بالإعجاب.

سطر الحبِ للورى — من دمي آية العبر

آية صورت على — لوحها أحزن الصور

شمس حزني قد استوت وعجيب — أن أراني أعيش من غير ظل

أبصر الدهر ناشراً سفر عمري — ولسان الآلام يقرأ ويملي

طعنة أثر طعنة أثر أخرى — نثرت هذه الحشاشة حولي

فتأملت في الحياة وفيما — كنت أبني على الخيال وأعلي

فـــإذا مـــورد النعـــيم ســـراب
وإذا حـــائط المنـــى فـــوق رمـــل

هـــذه ســـلوة الفـــؤاد تلاشـــت
فحـــرام علـــى فـــؤادي التـــسلي

يـــا بقايـــا الأحـــلام في جفـــني النـــا
ئـــم أخلـــي مقـــرك اليـــوم أخلـــي

يـــا ســـراج الآمـــال قـــد نـــضب الزيـــ
ــت فبـــدد هـــذي الخيـــوط وأبلـــي

يـــا فـــؤادي دع الوجيـــب لأقـــرأ
فـــوق رأس الحبيـــب ســـورة ثكلـــي

يـــا عيـــوني دعـــي البكـــاء فـــصعب
أن أراهـــا وأدمعـــي فيـــك تغلـــي

عـــدت للحـــب والهـــوى
يـــا منـــى الـــسمع والبـــصر

ولبانـــات خـــافقي
بـــين جـــنبيّ تـــستعر

حملـــتني إليـــك أجنحـــة الحـــ
ـــب ولمـــا أبـــال بـــالأهوال

كلمـــا لاح لـــي الـــسبيل كـــؤودا
هونـــت صـــعبه بـــروق الوصـــال

يـــا وصـــال الحبيـــب في مخـــدع المــو
ت تــــــصرف بهـــــذه الأوصـــــال

عفـــة الـــبرد مـــا عهـــدت بـــك الـــصمـ
ـــت قبيـــل اللقـــاء في كـــل حـــال

طـــــوقيني بـــــساعديك فـــلا خـــــو
ف علينـــــا مـــــن أعـــين العـــذال

مـــا أرى المـــوت مطفئـــاً شـــعلة الحـــسـ
ـــن ولا بالمزيـــل ســـحر الجمـــال

جفنـــك اليـــوم مثـــل جفنـــك بالأمـــ
ـــس كـــساه الفتـــور يـــتم المثـــال

فكـــأن الإغمـــاض فيـــه نعـــاس
أو حيـــــاء أو نـــــشوة مـــــن دلال

زادك المـــوت فـــوق حـــسنك حـــسنا
وكـــــساك بـــــبردة مـــــن جـــلال

مثـــــل ورد يـــــرف بعـــــد قطـــــاف
وشـــــــهاب يـــــــشع أثـــــــر زوال

أيــــــه يــــــا نفــــــس فاصــــــبري
يــــــرحم الله مــــــن صــــــبر

مــــــا أرى البــــــث مــــــا حيــــــا
أســــــطراً خطهــــــا القــــــدر

يــــا نؤومـــــا ألا ينبــــه جفنيــــك
بكـــــائي وزفرتـــــي واضــــــطرابي

كنـــت أن هيـــنم النـــسيم تهبيـــ ... ـــن وطيـــف الأحـــلام في الأهـــداب

أعـــشقت المقـــام في عـــالم الـــروح ... ولمـــــا تفكـــــري بإيـــــاب

لـــو تعـــذبت في الحيـــاة لقلنـــا ... لم تطـــق نفـــسك احتمـــال العـــذاب

أي أمـــر يـــا بنـــت ســـبع وعـــشر ... حـــث منـــك الركـــاب نحـــو الغيـــاب

فتناســـــيت أربعـــــاً وغرامـــــا ... وجمـــــوع الأحبـــــاب والأصـــــحاب

اسمعـــي صـــرخة الـــشباب أمـــا في ... قبلـــك اليـــوم رحمـــة للـــشباب

احتـــسي الكـــأس مـــن عـــصارة نفـــسي ... حـــين أفنيـــت أكـــؤس الأوصـــاب

وبرانـــي الـــشراب حتـــى لـــو أنـــي ... جئـــت ربـــي مـــا اسـطعت حمـل كتـابي

زودنـــــي بقبلـــــة منـــــكِ تبقـــــى ... في فمـــي بـــسمة ليـــوم الحـــساب

أنظـــري الـــنعش كيـــف قـــد ... لـــــبس الـــــورس وائتـــــزر

وعلى سجفه التوى ... غصن الآس وانتشر

حضن النعش زهر غرسك والتـ ... ـف وصعب عليّ رؤية غرسك

فكأني بالورد وهو ضحوك ... أحسب السير في مواكب عرسك

يا ابنة النور انفضي عنك ذا النعـ ... ـش وفضي لنا هواجس نفسك

أعرتك ارتعاشة حين لاحت ... من زوايا الأوهام أشباح رمسك ؟

فتخوفت مورداً يقذف الوحـ ... ـشة والسقم في قرارة كأسك ؟

أم تمثلت هوة الرمس ديراً ... ودمى الطهر سجداً حول رأسك ؟

ورأيت العشاق شمعة أثم ... تتلاشى على مذابح قدسك ؟

وتصورت منكراً ونكيراً ... وقفاً يقرآن صفحة أمسك

فتغنيت في ضميرك جذلى ... وحسرات الشفاه عن سن أنسك

أهمسي ردك الوجيز فأني
لم أزل مصغياً لرنة همسك

أيها النادب اتئد
وأرسل البحث في حذر

لا يقولن جاهل
شاعر البؤس قد كفر

وعلام تقل نعشك خيل
تتراءى دجنة ظلماء

أهي أولى بحمل نعشك مني
أم لها همة أشد مضاء

أتركني أحل نعشك بالدمـ
ـع وأرمي بنعشك الغبراء

وأجوب الفضاء فيك وأطوي
من فسيح الفضاء ما يتراءى

رهواً تارة، وطوراً هويناً
نزلاً مرة وأخرى ارتقاء

سائلاً عالم الملائك عن رو
حك عليّ أرى إليها اهتداء

بل دعيني حيال نعشك أجثو
حاسر الرأس أصعد الحوباء

مــــــا أرى هـــــــذه الملائـــــــك إلا أذنـــــاً عــــن نــــدائنا صـــماء

وكــــأني أراهـــــم الآن حــــشداً مــــشرأبين حـــولي اســـتهزاء

قـــائلين: انظـــروا لآدم هــــلا رام إلا بأفقنـــــــا حـــــــواء

هكـــذا يـــسكن الــضعيف إلى الــــوهم ويعلــي علــى الهبــاء بنـــاء

أيهـــــا البـــــائس الــــذي شـــــفه اليـــــأس والــــضجر

صـــــبر الــــنفس واحــــترم حكمــــــة الله في الـــــــبشر

الـــوداع الـــوداع يـــا زهـــرة العمـــــر ونبــــع الآمـــال والأحــــلام

الـــوداع الـــوداع يـــا شـــعلة اللطـــــف ونـــور الإيحــــاء والأوهـــام

حكمـــــة الله أن تزولــــي وأبقــــى هائمـــاً في الـــشقاء أي هيـــام

حكمـــــة الله أن أظـــــل حزينـــــاً أتلاشـــى علـــى ضـــريح غرامـــي

حكمة الله أن أقطع أوتا ر نشيدي بأحزان الأنغام

حكمة الله أن أجر على صبـ ـح نعيمي غشاوة من ظلام

حكمة الله أن تسدد في القـ ـلب سهام الأحزان والآلام

حكمة الله أن تجف على العشـ ـب زهور ما زلن في الأكمام

حكمة الله هذه ملؤها الرأفة والعدل وكل الأنصاف في الأحكام

ليس لي ما أقول يا مبدع الـ ـسكون فوقع السكوت فوق الكلام

فعلى ما وهبت ألف عفاء وعلى ما أخذت ألف سلام

لندن، مارس ١٩٣٢ م

خالد بن الوليد

لا تنامي يا راويات الزمان
فهو لولاك موجة من دخان

تتوالى عصوره وبها منك
ظلال طرية الألوان

أبداً تبسم الحياة عليها
بسمة المطمئن للحدثان

أسمعيني حفيف أجنحة الإلهام
من أفقك القصي الداني

وانثري حولي الأساطير فالروح
على شبه غصة الظمآن

حسبها أن أردها لك، من قلبي
صلاة، ومن شفاهي أغاني

❖❖❖

راويات الزمان هل شعر الرمل
بنفض الغبار عن أرداني

وهبوب الأجيال في يقظة الذكرى
وتهويمة الطيوف الرواني

وانفلاتـــي مـــن الغيـــوب بأقـــدام
غريـــب نـــائي الحمـــى حـــيران

مالـــه في وجومـــه يغمـــز الـــشعر
فيهمـــــي مثلاثـــــاً ومثـــــاني

نفحـــــات الـــــنبي، والفـــــتح
والعليـــاء، والعـــز، والنـــدى والبيـــان

رعـــشات في أضـــلعي، ماجـــت
الـصحراء فيهـا، ومـاج فيهـا افتتـاني

صـــدق الحـــب، إن مـــوطني الأجـــرد
روضـــــي وجـــــدولي ودنـــــاني

ينبـــت المجـــد قبـــل أن ينبـــت الـــورد
ويعطـــــي الثمـــــار قبـــــل الأوان



مـــا أرى ؟ هـــذه ذوائـــب مهـــزوم
وهـــــذي خيـــــامهم والمغـــــاني

مـــا لهـــم زيّـــغ الحلـــوم يعـــدّون
كـــــريم الهـــــشيم للـــــنيران

أســـدلوا الأرز مغـــضبين، وشـــدوا
الخمـــر واســـتلأموا ليـــوم رهـــان



يطلبـــون الـــنبي في «أحـــد» والثـــأر
طـــاغ، لم يثـــنهم عنـــه ثـــان

وامتطوهـــا مـــذاكياً تخطـــف الأرض
وعـــــضاتها علـــــى الارســــــان

«أحـــــد» لاح، حـــــين لاح عليــــــه
عــــالم ضـــمن هيكــــل إنـــساني

❖❖❖

زرع الحـــــق في كتـــــاب مـــــبين
وحمـــــاه بكـــــل عـــــضب يمــــاني

كيــف يطــوى الحــسام والجاهليــات
هيـــــام الأوثـــــان بالأوثــــــان

❖❖❖

وثـــب الهـــول وثبـــة فلـــت البـــيض
وشـــــــظت عـــــــوالي المـــــــران

وعـــدا المؤمنـــون في غفلـــة النـــصر
وراء الأســـــــلاب كالعقبـــــــان

فـــدوت صـــيحة الـــنبي، فثـــابوا
فـــإذا هـــم في قبـــضة العـــدوان

وإذا المــــشركون عاصــــفة هوجـــاء
تـــــــدمي جوانـــــــب الميـــــــدان

وفتـــــاهم، ذاك المطـــــوح بالهـــــام
مـــــثير الإعجـــــاب في الفرســـــان

دفـــع المهـــر مغـــضباً، فكبـــا الهـــر
أمــــــام الـــــنبي بعـــــد حـــــران

فانتـــضى ســـيفه، وهـــمّ، فلـــم يقـــو
ولم تنطلــــــــق لـــــــه قـــــــدمان

❖❖❖

فارتـــضى بالـــسجال، وأرتـــد حـــران
وفي الــــنفس هـــــاجس رحمـــــاني

أطـــرق المؤمنـــون، والأمـــل العاتـــب
ينـــــدى علـــــى الجبـــــاه الحـــــواني

كـل نفـس في الـسر سـائلة مـن أيـن
ذاك الفتـــــى العجيـــــب الطعـــــان

لم يلـــح قبـــل في كنانـــة مخـــزوم
ســـــنان كمثـــــل هـــــذا الـــــسنان

لا تزيغـــوا، صـــاح الـــنبي، فلـــولا
الزيـــغ لم تطرقـــوا علـــى الخـــذلان

الهوى الدنيوي والهدف العلوي ... في النفس ليس يلتقيان

أعلمتم من الفتى المتثني ... بوشاح البطولة الأرجواني ؟

أنه «ابن الوليد»، زغردة النصر ... وأنشودة الجهاد الباني

مر في ناظريّ طيفاً بعيداً ... عبقري النضال ثبت الجنان

وكأني أراه يضرب شرق الأرض ... بالغرب، مشرق الإيمان

وأرى كبرياءه دمعة التفكير ... مسفوحة على القرآن

صدق العهد، فالفتوح توالى ... وصدى خالد بكل مكان

❖❖❖

أينما حل فالمآذن ترجيع ... أذان المهيمن الديان

وبدا الروم في ضلال مناهم ... شوكة في معاقد الأجفان

فأتـــاهم بحفنـــة مـــن رجـــال
عنـــدها المجـــد والـــردى ســـيان

ورمـــاهم بهـــا، ومـــا هـــي إلا
جولـــة، فـــالتراب أحمـــر قـــان

وضـــلوع «اليرمـــوك» تجـــري نعوشـــاً
حـــــاملات هوامــــد الأبـــــدان

❖❖❖

هلـــل المؤمنـــون واهتـــزت البـــشرى
تـــــروي حنـــــاجر الركبـــــان

فـــإذا « خالـــد » علـــى كـــل جفـــن
خطـــرات مـــن الطيـــوف الحـــسان

سمـــر الغيـــد في الليـــالي الكـــسالى
وهـــوى الـــصيد في الزحـــام العـــوان

فتنـــة خيـــف أن يـــشيع بهـــا الزهـــو
فتلـــــوي بالقائـــــد الفتـــــان

فنحـــاه «الفـــروق» فانـــضم للجنـــد
فخـــــوراً بعـــــزة الاذعـــــان

وتـــراءى أبـــو عبيـــدة في الفيحـــاء
يحمـــــي قيـــــادة الفرســـــان

وفتى النبل خالد يقحم الأسوار

في نخبة من الفتيان

لم تزعزع من عزمه أمرة الفاروق

بل فجرته فيض تفاني

وإذا راضت العقيدة قلباً

فمن الصعب أن يكون أناني

يا مسجى في قبة الخلد يا خالد

هل من تلفت لبياني ؟

لا رعاني الصبا، إذا عصف البغي

وألفى فمي ضريح لساني

أقسم المجد أن أقطع أوتاري

عليه بأكرم الألحان

أنا من أمة أفاقت على العز

وأغفت مغموسة في الهوان

عرشها الرث من حراب المغيرين

وأعلامها من الأكفان

والأماني التي استماتت عليها

واجمات.... تكلمي يا أماني

لا تقل: ذلت الرجولة يا خالد

واستسلمت إلى الأحزان

حمحمـات الخيـول في ركبـك الظـافر
مـــــــا زلـــــــن نـــــــشوة الآذان

كـــم طـــوت هـــذه المرابـــع أفـــلاذ
قلـــــوب « بدريـــــة » الخفقـــــان

قـم تلفـت تـر الجنـود، كمـا كـانوا
منـــــــار الإبـــــــاء والعنفـــــوان

مـــا تخلـــوا، عـــن الجهـــاد، ولكـــن
قـــادهم، كـــل خـــائن، وجبـــان

❖❖❖

راويـــات الزمـــان، مـــالي أناجيـــك
ومــــــالي أغـــــصّ بالأشــــجان

اغـسلي الـذكريات عـني فمـا لـي
في احتمـــال العـــبء الثقيـــل يـــدان

أو فـــسيلي مـــراودا، تنثـــر الكحـــل
ضــــياء، في مقلـــــة الوســــنان

١٩٣٨

مصرع الفنان

نــــام عـــــن كأســــــه وعــــــن أحبابــــــه
قبــــــل أن ينقـــــضي نهـــــارُ شـــــبابهْ

نـــام عـــن ســكرة الحيـــاة وقـــد جـــفَّ
شـــــرابُ الــــــسلوان مــــــن أكوابــــــه

بـــــسمات الرضـــــا علـــــى شـــــفتيه
وشـــــتات الـــــرؤى علـــــى أهدابـــــه

وبنــــات الغـــــروب تــــسكب في أذنيـــــه
موجــــــات عـــــــود وربابـــــــه!

لابـــــسات حُمَــــر المــــآزر مـــــرَّتْ
ريـــــشة الأفـــــق فوقهـــــا بخــــضابه

راقـــــصات في حلقـــــةٍ مـــــن عبــــاب
اللـــهو، والــرقص موجــة مــن عبابــه

رقـــــصاتِ المطهمـــــات مـــــن الخيــــل
بعــــــرس يمـــــوج في تــــــصخابه!

يـــا بنـــات الغـــروب قـــد نفـــض الليـــل
علـــــى الكــــون حالكـــــات نقابـــــه

احملي الراحل الغريب وسيري
بالزغاريد سلوةً لاغترابه

وادخلي هيكل الفنون وأهد
يه سراجاً يضيء في محرابه

لفتةً نحو أمسه
أيها الشاعر العَلَمْ

إن في سفر عمره
صفحات من الألم

ملَّ دنياه بعدما سئم السير
عليها وضاق في بلوائه

موردُ الفن مظلم لم يصوبْ
فوق الشرق مشعلاً من ضيائه

سار فيه... وظلمة اليأس تطفي
تحت أنفاسها شموع رجائه

والصخور الجسام ناتئة الأنياب
تدمي أقدامه وهو تائه !

ورؤوس الأشواك تعبث فيه
وعليها مُمزَّقٌ من ردائه !

والأفــاعي تفــحُّ مــن كــل صــوب
نازعـــــات إلى امتـــــصاص دمائـــــه

والأمـــــاني أمـــــام عينيـــــه تنـــــزو
نـــــزوات المطعـــــون في أحـــــشائه

فحنـــــى رأســـــه الكئيـــــب وألقـــــى
بعـــــصاه وضـــــجَّ في بأســـــائه

وانثنـــــى عائـــــداً يـــــشيع حلمـــــا
يتلاشـــــى مـــــن مقلـــــتيْ نعمائـــــه

عـــــودةَ الثاكـــــلِ وقـــــد نفَّـــــض
كفيـــــه مـــــن ثـــــرى أبنائـــــه

لـــــيس يرجـــــو مـــــن الـــــورى
بـــــسمةً تغـــــسل الـــــسقم

أحـــــزم النـــــاس عاقـــــل
لَمَـــــسَ الجـــــرح وابتـــــسم !!

ضـــــاق في وجهـــــه الفـــــضاء ومـــــا في
قوســـــه نبلـــــة لـــــصون كيانـــــهْ

رعـــــشاتُ الـــــذهول في مقلتيـــــه
وعتـــــابُ الزمـــــان فـــــوق لـــــسانه

فحوْتهُ في صدرها الحانة الحمرا … ء خوفاً عليه من أحزانه

فتغنى بعطفها وحباها … بالشهيّ الفتان من ألحانه

وهو ينحر الكآبة نحراً … بين نعمى أوتاره وحسانه

وانبرى يكرع المدمة حتى … هرئت لِثَّتاهُ عن أسنانه !!

ويعبّ الدخان حتى استحالت … رئتاه مجامراً لدخانه !!

خالعاً معطفَ الوقار مُكباً … فوق شهواته طليق عِنانه

لا تلوموه في ضلال خُطاه … ربَّ طهر الرجس من أركانه

جعل اللهو سلوةً … تحمل السم في الدسم

لا يبالي صريعها … عبس الكون أم بسم

يا لها سكرةً لقد أطلقته … من قيود الملا ومن أتراحه

غسلت عن فؤاده ألم العيش ... وألوت بباقيات كفاحه

وآرته طيوف آماله الغر ... عذارى يطفن فوق وشاحه

حاملات على سواعدها البيض ... أكاليل فوزه ونجاحه

فغفا هاتفاً بسكرته الهوجاء ... والروح ممعن في رواحه

قبل أن يطلع الصباح عليه ... ويرى الحلم كاذباً في صباحه

هكذا الوهم للمخبط في اليأس ... ضماد وبلسم لجراحه

زحف الفجر باتئاد كنسرٍ ... قصت الريح ريشة من جناحه

وأتى جثة فصبَّ عليها ... دفقات من عطفه وسماحه

والندى لم يزل عليها دموعاً ... سلن من زفرة الدجى ونواحه

هكذا شع وانطفا ... في خضم من ألظلمْ

تاركاً فوق أرضه ... ضجر الروح والسأم

ليت شعري وقد توارى وشيكاً ... أطروبٌ أم بائس في تعادهْ

ما أظن الآلام في عالم الروح ... تزجّي أشباكها لاصطياده

قد كفاه ما ذاق في دنياه ... من لئام الورى ومن حساده

أهملت شأنه البلاد وصَمَّتْ ... أذنيها عن دمدمات فؤاده

فتحت صدرها لكل دخيلٍ ... فاغر الشدق واثب في عناده

وسقته كأس الهناء دِهاقا ... وفتى الفن ظاميء في بلاده

لم يكن ذاك عن ذهولٍ ولكن ... يرغبُ الهرُّ في دما أولاده !!

إنما لم تزل رفاق لياليه ... كراماً على عهود وداده

تجمع الخمر شملهم فيخلون ... فراغَ اتكائه واستناده

كلما مرَّ ذكره قلبوا الكأس ... على الأرض حسرةً لافتقاده

صفحة الحب والهوى ... والأهازيج والنغم

قد طوتها يدُ الردى ... فهي في حجرة العدم

لست أنسى الناقوس لما نعاه ... والمصلَّى يموج في أحباره

ورؤوس الرجال مطرقةٌ والحزن ... ساجٍ مسربلٌ بوقاره

والمناديلُ في أكف الغواني ... تشرب الدمعَ من مقر انفجاره

حملوه في نعشه الأبيض اللون ... وساروا كتائهٍ في قفاره

وحَدَوهْ بكل لحن شجي ... سرقته الآذانُ من أسراره

إيه ألحانه وأنتِ حنينٌ ... سال من روحه على أوتاره

رافقيه في أفقه فهو ظمآن ... بعيد العهود عن قيثاره

ربّ ورقاء في الفضاء الرَّحبِ لما ... زقزقَ الفرحُ شاكياً من أواره

أطبقت فوق صدرها جانحيها ... وهوت كالشهاب عند انهياره

وأكبَّتْ عليه تمنحه العطف ... ومنقارها على منقاره !!

النور

النـــــــور أتعـــــب مقلـــــــتيَّ

وبـــــــثَّ في روحـــــــي الكآبـــــــه

هتـــــك الجـــــلالَ عـــــن الحيـــــاة

ولـــــصَّ مـــــن فمهـــــا المهابـــــه

حتـــــى غـــــدت بلـــــهاء تخطـــــر

فـــــوق أنقـــــاض النجابـــــه

النـــــــور أدمـــــى مقلـــــــتيَّ

وعـــــاث في روحـــــي الحزينـــــه

كـــــم مـــــدَّ لـــــي دربـــــاً و أغـــــرا

نـــــي بـــــه والـــــشوك دونـــــه

أمـــــشي وتحـــــت مـــــواطئي

أشـــــلاء آمـــــال ثمينـــــه

النور أعمى مقلتيَّ ... فيا ظلامَ الكون قدني

ما لي أحسُّ بزندك العاتي ... يكاد يهدُّ ركني

مهلا فبي أثر من المـا ... ـضي فلا تأخذه مني !!

دروب الحياة

وقفتُ أمامَ دروب الحياة

طليقَ الأماني بعيدَ النظرْ

أراقب بالهزء تلك الجموعَ

تروحُ وتغدو إلى مستقر

وأسمع بالحزن وطء النعال

يصعرُّ وجه التراب الأغر

ركضت حيال دروب الحياة

مثار الأماني شريدَ الفِكرْ

فألفيت دربًا كسته الزهور

ولم يمش فوق ثراه البشر

فسرت على زهره خطوةً

وعدتُ كَمَن سار فوق الأبر

نظرت وراء دروب الحياة

فيا ليتني كنتُ أعمى البصر !

عاصفة

إشــــربي ! اشـــربي بقايـــا خمـــورٍ
أســـــأرتْها يـــــدُ الأســــى في إنـــائي

اشـــربي َ! وارقـــصي وغـــني وهـــزي
مزهـــــرَ اللــــهو في يـــد الأغـــــراء

إشـــربيَ وانـــضحي اللذائـــذَ حتـــى
تتــــــولاك رعــــــشةُ الإعيـــــاء

أتخـــــافين ؟ أقـــــدمي لا تخـــــافي
أقـــدمي وانفـــضي بقايـــا الحيـــاء

إن هـــذي العـــروقَ في جـــسمك الـــبضّ
أنابيـــــب شــــــهوة لا دمـــــاء !

أشـــبعيها بمـــا تـــشائين مـــني
يـــا ســـدومَ الـــدعارة الهوجـــاء !

مـــا لعينيـــكِ تبكيـــان ؟ أ هـــذا
أول العهــــد منـــيتي بالبكـــاء !؟

احبـــسي هـــذه الـــدموع ففيهـــا
تـــتراءى أشـــباح ماضـــي شـــقائي

احبسي هذه الدموع فإني ... أزدريها في المقلة الكحلاء

إن هذا اللقاء أحسنُ ما جا ... د به الدهر بعد طول عناء

لا تقولي لقد ظلمتُ، فهذي ... لطخة العار في صحيفة أمسِك

تخجل العين أن تمّر عليها ... وترى خلفها خوالج حسك

أي رجس أبصرته وترف ... عتِ عن تعاطيه يا قتيلة رجسك !

ارفعي الرأس عن مواطيء نعلي ... وانحري الخوف فوق مذبح يأسك

أتخوفت مورداً يقذف الوح ... شة والسقم في دجنَّةِ رمسك

أتصورتِ هوةَ القبر غضبى ... ودُمى الرجس حوِّماً حول رأسك

فتضرعتِ حين بات فؤادي ... صخرةً لا يجيب صرخة بؤسك

انفــضي الكــفَّ مــن صــباكِ وفــضي
فــوق تــراب الــوداع خمــرةَ كأســك

آن أن أضـــــــمد الجــــــــراحَ وأروي
غلــة الــنفس مــن عــصارةِ نفــسك

أنهـــضي وانظـــري إلـــيَّ مليـــاً
يـــا ســـراب المدلَّـــهِ الظمـــآنِ

هـــل تركـــتِ الـــشبابَ فيَّ شـــباباً
يتهـــــادئ بـــــبرده الفينـــــانِ

اقـــرأي في غـــضونه سُـــوَرَ البـــؤ
س[1] ففيهـــا مـــا دقَّ عـــن تبيـــاني

هـــذه زهـــرة الحيـــاة تلاشـــت
وتبقـــت أشـــواكها في بنـــاني

يـــا لجهلـــي، فكـــم لمحـــتُ بعينيـــكِ
حيـــــاةً عُلويـــــةَ الألـــــوانِ

اتخـــذتُ العهـــودَ منـــك جنـــاحيَّ
لأفـــق عـــذب الـــرؤى ريـــان

فتـــصورتُ أنـــني أصـــفع الـــدهرَ
وأجـــني مـــن قفـــره ريحـــاني

[1] استبدل الشاعر عبارة (سور البؤس) في الأعمال الكاملة بعبارة (شقوة العمر).

فإذا بي صفر اليدين مكبٌّ   فوق أشلاء حلمي الفتان !

ويح نفسي أهذه ذكرياتٌ   أم أفاعٍ تفحُّ في جانبيا !

أم شظايا من انتقام رهيب   فجَّرَتْ في الفؤاد داءً دويا

إتكي الآن يا بغي... وهذي   قبلات الوداع من شفتيا !

إن عينيكَ تجحظان.. وتبدو   صورتي فيها كذئب تهيَّا !

أكذا الهولُ فوق عنقك يطفي   ذلك السحر والشعاع السنيا

أصحيحٌ أن الجمال سيبكي   بعد حين ذاك البها والحيا

أيطلّ الصباح من كوَّةِ الأفق   مُلحّاً فلا يرى منك شيا !؟

ما لكفيَّ ترجفان ؟ وما للدمع   يهمي بالرغم من مقلتيَّ

أنهضي..أنهضي.. فلستُ أطيقُ   الحسن تذوي أزهارُه في يدَّيا !

أنتِ أولى بالعيش مني فسيري   وأتركيني أطوي الحياة شقيا

١٩٣٧ م

كأس ديك الجن

أعملت سيفي في مجال خناقها

ومدامعي تجري على خديها

ديك الجن

تلـــــك البقايـــــا مــــــن نعــــــ ـــــيم العمــــر أســــرعت المــــضيًّا

العجــــــزُ فــــــتَّ بــــــساعدي والــــــشيبُ كفَّــــــنَ مفرقيـــــا

حــــــسناء... قـــــد مزقـــــتِ بـــــر د قـــــواي، واســــــتحكمت فيــــا

فلكــــم نــــضحتُ دمــــي عليــــ ـــك وصـــحت باللـــذات هيَّـــا

والـــــشهوة العميـــــاءُ تقـــــذ ف بـــــاللظى مـــــن مقلتيـــــا

يكفـــي... فقـــد ذوبـــت جـــسمي في الهـــــوى شـــيأً فـــــشيا

رفقــــاً بقلـــــبي، فهـــــو آ خـــــر مـــــا تبقَّـــى في يـــديا !

❖❖

مـــــا لـــــي أراكِ كئيبـــــة
هـــل هـــزَّ جانبـــك الـــسقم ؟

أرأيـــــتِ قـــــدك بالجمـــــال
العبقـــــري قيـــــد اتـــــسم

وعروقـــــه قـــــد وُتّـــــرتْ
ومـــــشتْ بهـــــا الـــــشهواتُ دم

والنهـــد مـــن لـــين الـــشبا
ب لقـــد تحجَّـــرَ وأضـــطرم

ورأيـــتِ بـــي شـــيخاً هزيـــ
ـــلا تقلـــص وانهـــدم

أن قـــام يـــسألك العنـــا
قَ هـــوى.. وأقعـــده الهـــرم

فوقفـــتِ حـــائرةً تعـــضـ
ـــين البنـــان مـــن الألم !

❖❖

حـــسناء.. رُدي الكـــأس عـــن
ثغـــري، فقـــد ثَلَّمـــتُ ثغـــرهْ

لا، لا، سأشـــرب خمـــره
حتـــى تـــصير دمـــاي خمـــره

واخـــال في بـــرديَّ عـــا
صـــفةً، وفي عـــينيَّ جمـــره

حتـــى إذا طـــوقتني ... مـا شمـتِ هـذا الجسم صـخره

لِـمْ أنـت واجمـة ؟ أرا ... ك نثـرتِ فـوق الخـد عـبره

ورجفـتِ رجفـة طـائرِ ... بلغـت يـدُ الـصياد وكـره

حـسناء.. لا تبكـي فـبي ... مـن هـذه العـبرات غَـيره

نـامي علـى كبـدي، أجـل ... نـامي. ولا تـشغلك فكـره

❖ ❖

أمَّـتْ سـريري بعـدما ... شـهقتُ شمـوعٌ تـدمعُ

فهززتهـا حتـى استـشار ... وضـجَّ منـا المـضجع

وشـددتها حتـى ارتخـى ... عـزمٌ وصـكَّتْ أضـلع

أنـي سـفكت دمـي لهـا ... حبـاً عـساها تـشبع

كغزالـــــــــــةٍ مطعونـــــــــــةٍ   أحـــــــــــشاؤها تتقطـــــــــــع

لمـــــــــــا رأت بـــــــــــصغيرها   الجـــــوع الـــــشديد يُـــــروِّع

زَحَفـــــــــتْ لترضـــــــعه ومـــــــا   تـــــت وهـــــو بـــــاقٍ يرضـــــع !

❖ ❖

نامـــــت وجـــــنحُ الليـــــل جـــــنَّ   ومقلـــــتي الحمقـــــاء غـــــضبي

رسمـــــت طيـــــوف غـــــدي الـــــ   ـــــيَّ وألبـــــستها الرعـــــبَ ثوبـــــا

كرعـــــالِ جـــــن إثـــــر مجـــــ   ـــــنون مـــــشى دفعـــــاً وجـــــذبا

عـــــيني، لقـــــد رسمـــــت غـــــدي !   والرســـــم لم أبـــــصره كـــــذبا

أنـــــا ... لـــــن أعـــــيش غـــــداً   فأشـــــبع غـــــادتي الحـــــسناء حبـــــا

مـــــن أيـــــن !... والـــــداء العـــــضال   أقـــــام في جـــــنبيَّ حربـــــا

ومراكِـــــــب الأيـــــــام شَقَّـــــــــ
ـــــــتْ جـــــبهتي دريـــــاً فـــــدريا !

❖❖

نامـــــــــتْ وأحـــــــلام الـــــــصِبا
في ثغرهــــــا الفتـــــــان تبـــــــسمْ

هـــــي قِبلــــةُ البـــدوي في الــــصـ
ـــــــحراء والــــــركن المكــــــرّم

هـــــي مبـــــسمة لمعـــــت علـــــى
ثغـــــر الزمـــــان وقـــــد تجهـــــم

نامـــــــت.. وأنـــــــي في غـــــدٍ
أو بعـــــــده شـــــــلوٌ محطـــــــم

أأمـــوت عنهـــــا ؟.. كـــــي يفـــوز
بحبهـــــا غـــــيري ويـــــنعم ؟...

فكـــــــرتُ.. فارتعـــــــشتُ لمـــــــا
فكـــــــرت أنفـــــــاسٌ تَـــــــصرَمْ

لكـــــــن وجـــــــدت بفكرتـــــــي
لفـــــؤادي الغـــــيران بلــــــسم !

❖❖

قبلتهـــــــا ! وغـــــــسلت قبـــــــــ
ـــــــلتي الأثيمـــــــةَ بالبكـــــــاء

والغـــيرة القـــصوى تـــشـ ـــب كأنهـــا نـــار اصـــطلاء

فتلمظـــتْ عـــيني... فجئـــت بخنجـــري... والهـــول جـــاء !

وذبحتهـــا حبـــاً كمـــا ذبحـــت علـــى اســـم الله شـــاء

وحرقتهـــا وجبلـــتُ مـــن تلـــك الجـــذى كـــأس اشـــتفاء

أحـــسو بـــه حتـــى غـــدٍ تلـــك البقيـــة مـــن دمـــاء

وعـــداً أمـــوت عليـــه مـــر تاحـــاً وبـــي منـــه ارتـــواء !!

أجمل عيون

عيونـــك أجمـــلُ مـــا في الوجـــو
دِ فتيهـــي علـــيَّ بتلـــك العيـــونْ

ولا تتركـــي العطـــف في ضـــوءها
لـــئلاَّ يـــصدقَ قلـــبي الحـــزين

كفـــاني لقيـــتُ بهـــا مـــا لقيـــت
ولازمـــت منهـــا شـــقائي الـــزمين !

❖❖

لقـــد أفقـــر الـــدهرُ ذاك الفتـــى
وألقـــاهُ فـــوق الـــشقا يـــضطربْ

علـــى عطفـــه بـــردة أخلقـــت
تكـــاد إذا الـــريحُ هبَّـــتْ تهـــب

إذا ســـار يبحـــث عـــن رزقـــه
تراجـــــــع دون بلـــــــوغ الأربْ

❖❖

ومـــرَّ بقـــصر الفتـــاة المـــشيد
وقـــد نهـــكَ الجـــوعُ منـــه القـــوى

فقامت ترقّص آلامه   بقيةُ ذكرى شبابٍ ذوى

فيذكر بالحزن تلك العيون   ويذكر بالبؤس ذاك الهوى

❖❖

أراد الذهاب.. فلم يستطعْ   ورام الإياب فلم يقدرِ

ولما رأى الجوع مستحكماً   من النفس، طاش ولم يصبر

وهبَّ ليطلب جودَ الفتا   ةِ وقد رجفَ الدمعُ في المحجر !

❖❖

رآها.. ولكن عراه الذهو   لُ وأخرست العينُ منه الفما

رآها.. تَلفَّتُ في حيرةٍ   وقد كحلتها أكفّ العمى !

فتعثر حيناً.. وحيناً تميل   وتوميءُ بالسخط نحو السَّما

❖❖

فــــــــسار إليهـــــــا لإرشـــــــادها
فظنتــــــــه خـــــــادمَ حجراتهـــــــا

فعرَّفهـــــا باسمــــــه.. فانثنــــــت
تراجــــــع ماضــــــي خيالاتهــــــا

وأطرقـــــــتِ الـــــــرأس في لوعـــــــةٍ
وحـــــــدَّرتِ العـــــــينُ عبراتهـــــا !

❖❖

وقالـــــت.. أتـــذكر هـــذي العيـــو
ن فكـــم كنـــتَ تـــسرف في حبهـــا !

فكيـــــف تراهـــــا.. فقـــال الكئيـــــ
ــب وقــد ضــاقتِ الــنفسُ في كربهــا...

عيونـــك.. أجمـــل مـــا في الوجـــو
د لأنـــكِ لـــستِ تـــريني بهـــا !!!

تعزية قاتلة

أمـــا الـــصبا فلقـــد مـــرت لياليـــه
فأبكيـــه يـــا عَفَّـــةَ الجلبـــاب فابكيـــه

ملكـــتِ قلبـــك عـــن وِرد الهـــوى زمنـــاً
واليـــوم وِرد الهـــوى غيـــضت ســـواقيه

بـــالأمس إن جئـــت أبـــدي مـــا أكابـــده
لويـــتِ جيـــدك عمـــا جئـــتُ أبديـــه

ومـــا رثيـــتِ لـــدمعٍ كنـــت أزرفـــه
ولا عطفـــت علـــى جـــرح أعانيـــه

واليـــوم جئتـــكِ لا صـــبئا ولا كلفـــا
بـــل للجمـــال الـــذي يـــذوي أعزيـــه !

زاهد

لـــيس في العـــيش مـــا يـــسر ولكـــن
إنـــــه المـــــرء مولـــــع بالبقـــــاء

منتهـــى العقـــل أن يعـــيش أخـــو
العقـــل بعيـــداً عـــن عـــالم الـــضوضاء

مثـــل قـــس سمـــيره ارغـــن الـــدير
وخفـــــق النـــــاقوس في الظلمـــــاء

وجمـــال الروحـــات وقـــت صـــباحٍ
وجـــلال الغـــدوات غـــبَّ مـــساء

كلمـــا مثـــلَ الأنـــام لعينيـــه
عَلتَـــــه ابتـــــسامة اســـــتهزاء

سوسن

في فــم الفجــر بــسمةٌ مــن أمــاني

طبعتهــا شــفاهُ تلــك الأغــاني

فـاملأي الليـلَ نغمـة واتركـي الفجـرَ

يــــصبُ الأصــــداء في الآذان

أنــتِ أظمــأتني إليهــا وهيهــات

أروّى مــــن وقعهــــا الفتّــــان

كجــريح ظمــآن يــصرخ يــا مــاء..

ويحبــــو للجــــدول الريَّــــان

كلمــا بــلَّ غلَّــةً جــدَّ الجــرحُ

ســـــواها في صـــدره الظمـــآن

جان دارك

رآى في معرض «اللوفر» بباريس صورة فتاة رائعة الجمال على صورة جواد أدهم، فاستغرب عندما علم أنها «جان دارك».

الفجـــر أومـــا، والبتـــولُ ... بحلمهـــا المعـــسول نـــشوى

حتـــى إذا أطيافـــه ... نفـــرت مـــن الأجفـــان عـــدوا

أخـــذتْ تمطّـــي والفتـــور ... يهزهـــا عـــضواً فعـــضوا

وغطاؤهـــا المعطـــار يزلـــق ... عـــن ترائبهـــا ويُطـــوى

وأكفهـــا في شـــعرها ... تـــزداد دغدغـــةً ولهـــوا

والنهـــدان بـــصدرها ... يتواثـــان هـــوىً وشـــجوا

فتـــشدّ فوقهمـــا وســـادتها ... وفي شـــغفٍ تلـــوّى

هيهـــات تُـــروى والحيـــاءُ ... خـــدينها هيهـــات تُـــروى !!

نظرتْ إلى مرآتها   والشعر مضطربُ الضفائرْ

ولحاظها بثمالة   الأحلام ساهيةٌ فواتر !

وقميصها المحلول فوق   تواثب النهدين حائر

فاستعرضت عيشاً كما   شاء الهوى ريانَ عاطر

وتمثلتْ خدنا يحلّ   يراحتيه لها المآزر

ويضمها شغفاً وتهمي   فوقها القُبَلُ المواطر !!

فتلجلجتْ خجلاً وغصّتْ   بالشهيّ من الخواطر !

وتنهدت ألماً وأطبقت   الجفون على المحاجر.. !

❖❖

وقفت تصلي هيبةً   والنفس خاشعة كئيبه !

وصـــــــليبها القدســــــي يرمقهـــــــا

بنظـــــــــــــــراتٍ رهيبـــــــــــــــه

فتزحزحـــــــــــــــت أجفانُهـــــــــــــا

عـــــن دمعـــــة القلـــــق الـــــسكيبه

وفؤادهـــــــــا المخـــــــــذول يكـــــــــتم

في مخاوفـــــــــــــه وجيبـــــــــــــه

فاســــــــتغفرت عـــــــن حلمـــــــــه

الطـــــــاغي ولفتتـــــــه المريبـــــــه

استعـــــــــــــصت بـــــــــــــصليبها

مـــــن كـــــل هاجـــــسة غريبـــــه

وبنـــــــت لـــــــه خلـــــفَ الـــــضلوع

هياكـــــــل الحـــــــب الرجيبـــــــه

وأتـــــــتْ علـــــــى أمـــــــل الـــــــشباب

وطيـــــــب زهرتـــــــه الرطيبـــــــه !

❖❖

مـــــــضَت الليـــــــالي... مثلمـــــــا

الأحـــــــلام في أجفـــــــان نـــــــائمْ

فـــــإذا البتـــــول علـــــى جـــــواد

مثـــــل جلـــــد الليـــــل فـــــاحم

وأمامَها عَلَمُ البلاد / مموّجُ الجنبات باسم

ووراءها جيشٌ من / الفرسان مشدود العزائم

وخيوله مختالة / تحت العوالي والصوارم

❖❖

ينساب في الوادي كما / الرقطاء بات لها قوائم !

وغباره يعلو على / جنبيه من عسف المناسم

والأفق مطروفُ العيون / بلفحه والصخرُ شاتم !

❖❖

نادت بفيلقها البتولُ / وهزّ ساعدُها المهنّدْ

وعَدتْ إلى حرم الجهاد / السمح بالعزم الموطّد

فتلاحم الجيشان فاندلع / اللظى والهول أرعد

هذا يفرّ وذا يكرّ ... وذا يكبّ وذاك يصعد

والموت يأكل ما تُلقّمُهُ ... يدُ الطعن المسدّد

حتى إذا نالت نوا ... جذه من الأشلاء مقصد...

بدت البتول كما بدا ... من كوة الظلماءِ فرقد

تختال جذلى بالفخار ... وعزة النصر المخلّد

❖❖

نصرٌ على نصر أقضّ ... مضاجع الأبطال ذعرا

حتى إذا الوطن الأسير ... بدا من الأغلال حرا

هوتِ البتولُ المستميتة ... في يد الأعداء غدرا

فطغت سخائمهم كما ... لو في الهشيم قذفتَ جمرا

رمـــــشوا مجوســـــاً يحملـــــون
بتـــــــولهم للنـــــــار نُكــــــرا

ورمــــــوا بهـــــا وتجمعــــــوا
مـــــن حولهـــــا تيهـــــاً وكــــــبرا

فتجلـــــــدت ويـــــــد اللظـــــــى
ترمــــــــي بمئزرهــــــا فتعــــــرى

وتهزهـــــــا هــــــزاً فتعلـــــــو
تـــــــارة وتخـــــــرّ طـــــــورا !

❖❖

أخـــــــذت تـــــــصعّدُ روحَهـــــــا
في قبـــــضة النـــــار المهيبـــــه

وأمامهـــــــا تمـــــــشي طيـــــــوف
الخلـــــــد في حلـــــــل قـــــــشيبه

فبـــــــدت تـــــــصلي للـــــــصليب
صـــــــلاة فـــــــائزة طروبـــــــه

فـــــــإذا بـــــــه مـــــــازال
يرمقهـــــا بنظـــــرات رهيبـــــة !!!

١٩٣٥ م

عروس المجد

ألقيت في الحفلة التذكارية

التي أقيمت في حلب ابتهاجاً

بجلاء الفرنسيين عن سورية

يـا عـروس المجـد، تيهـي واسـحبي ... في مغانينـا ذيـولَ الـشهبِ

لـن تـريْ حفنـة رمـلٍ فوقهـا ... لم تعطّـر بـدما حـرٍّ أبـي

درجَ البغـيُ عليهـا حقبـةً ... وهـوى دون بلـوغ الأرب

وارتمـى كـبرُ الليـالي دونهـا ... لـيّنَ النـابِ، كليـلَ المخلـبِ

لا يمـوت الحـق، مهمـا لطمـت ... عارضـيه، قبـضةُ المغتـصبِ !

مـن هنـا شـقّ الهـدى أكمامـه ... وتهـادى موكبـاً في موكـب

وأتـى الـدنيا فرفّـتْ طربـاً ... وانتـشت مـن عبقـه المنـسكب

وتغنّت بالمروءات التي ... عرفتها في فتاها العربي

أصيدٌ، ضاقت به صحراؤه ... فأعدّته لأفق أرحبِ

هبٌ للفتح، فأدمى تحته ... حافرُ المهر جبينَ الكوكب !!

وأمانيه انتفاض الأرض من ... غيهب الذّلِ، وذلّ الغيهبِ

وانطلاق النور حتى يرتوي ... كل جفن بالثرى مختضبِ

حلمٌ ولّى، ولم يُجرح به ... شرفُ المسعى ونيل المطلبِ !

يا عروس المجد، طال الملتقى ... بعدما طالَ جوى المغتربِ

سكرتْ أجيالنا في زهوها ... وغفتْ عن كيد دهر قُلّبِ

وصحونا، فإذا أعناقنا ... مثقلات بقيودِ الأجنبي

فدعوتاكِ فلم نسمع سوى ... زفرةٍ من صدركِ المكتئبِ

قد عرفنا مهرك الغالي فلم … نُرخص المهرَ ولم نحتسب

فحملنا لك، إكليل الوفا … ومشينا فوق هام النوب

وأرقناها دماء حرّة … فأغرقي ما شئتِ منها واشربي !

وامسحي دمع اليتامى وابسمي … والمسي جرح الحزانى، وأطربي

نحن من ضعف بنينا قوةً … لم تلن للمارج الملتهب

كم لنا من ميسلون نفضتْ … عن جناحيها غبارَ التعبِ

كم نبت أسيافنا في ملعبٍ … وكبتْ أفراسنا في ملعبِ

من نضالٍ عاثرٍ مصطخبِ … لنضال عاثرٍ مصطخبِ

شرفُ الوثبة أن ترضي العلى … غُلِبَ الواثبُ أم لم يُغلبِ !!

فالتفتْ من كوّة الفردوس يا … فيصل العلياء وانظر واعجب

أتــرى كيــف أشــتفى الثــأرُ مــن الفــــاتح المـــسترق المـــستلب

وطـــوى مـــا طـــال مـــن راياتـــه في ثنايـــا نجمـــه المحتجـــب

مـــا نـــسينا دمعـــة عاصـــيتها في وداع الأمـــــل المرتقـــــب

رجفـــتْ بـــالأمس ســـكرى ألمٍ فأســـلها اليـــوم ســـكرى طـــرب !

يـــا لنعمـــى ! خـــفّ في أظلالهـــا مـــا حملنـــا في ركـــاب الحقـــب

أينمـــا جـــال بنـــا الطـــرف انثنـــى وطيـــوفُ الزهـــو فـــوق الهـــدب

هـــذه تربتنـــا، لـــن تزدهـــي بـــسوانا مـــن حُمـــاةٍ نُـــدُبِ

فلنـــصن مـــن حَـــرمَ الملـــك لهـــا منـــبرَ الحقـــد، وســـيفَ الغـــضْبِ

ولنُـــسل حنجـــرة الـــشدوّ بهـــا بـــين أطـــلال الـــضحايا الغيّـــبِ

ضـــلت الأمـــة إن أرخـــت علـــى جـــرح ماضـــيها كثيـــفَ الحجـــب !

ما بلغنا بعدُ، من أحلامنا ... ذلك الحلمَ الكريم الذهبي

أين في القدس ضلوعٌ غضة ... لم تلامسها ذنابى عقربٍ ؟

وقف التاريخ في محرابها ... وقفةَ المرتجف المضطرب

كم روى عنها أناشيد النهى ... في سماء العالم المستغربِ

أي انشودة خزي غصّ في ... بثها بين الأسى والكرب

ما لأبناء السبايا ركبوا ... للأماني البيضِ أشهى مركب

ومتى هزوا علينا رايةً ... ما انطوت بين رخيص السّلَبِ ؟

ومن الطاغي الذي مد لهم ... من سرابِ الحق أوهي سَبَبِ ؟

أوَما كنا له في خطبه ... معقلَ الأمنِ وجسرَ الهربِ

ما لنا نلمح في مشيته ... مخلبَ الذئب وجلدَ الثعلبِ

بالذلّ العهد إن أغضى أسىً ... فوق صدر الشرف المنتخب

يا روابي القدس، يا مجلى السنا
يا رؤى عيسى على جفن النبي

دون عليائك في الرحب المدى
صهلةُ الخيل ووهجُ القضبِ

لمّتِ الآلام منا شملنا
ونمتْ ما بيننا من نسبِ

فإذا مصرُ أغاني جلقٍ
وإذا بغداد نجوى يثرب

ذهبت أعلامها خافقةً
والتقى مشرقها بالمغرب

كلما انقضّ عليها عاصفٌ
دفنته في ضلوع السحب !

برك الخطبُ، فكم لفَّ على
سهمه أشتات شعب مغضبِ

يا عروس المجد حسبي عزة
أن أرى المجد أنثنى يعتز بي

أنا لولاهُ لما طَوّفتُ في
كل قفرٍ مترامٍ مجدبِ

رُبَ لحنٍ سال عن قيثارتي
هزّ أعطاف الجهاد الأشيب

لبلادي، ولروّادِ السنا
كلُّ ما ألهمتني من أدب

١٩٤٧ م

نسر

أصـــبح الـــسفح ملعبـــاً للنـــسور
فاغـــضبي يـــا ذرى الجبـــال وثـــوري

إن للجـــــرح صـــــيحة، فابعثيهـــــا
في سمـــاع الـــدنى، فحـــيحَ سـعير

واطرحـــي الكبريـــاء شـــلواً مـــدمّى
تحـــت أقـــدام دهـــركِ الـــسكير !!!

لملمـــي يـــا ذرى الجبـــال بقايـــا النـــسر
وأرمـــي بهـــا صـــدور العـــصور

إنـــه لم يعـــدْ يكحّـــل جفـــنَ الـــنجمِ
تيهـــــاً بريـــــشه المنثـــــور !

هجـــر الـــوكرَ ذاهـــلاً، وعلـــى عينيـــه
شـــيء، مـــن الـــوداع الأخـــير

تاركـــاً خلفـــه مواكـــبَ ســـحب
تتهـــادى مـــن أفقهـــا المـــسحور

كـــم أكبّـــت عليـــه وهـــي تُنـــدّي
فوقـــه قبلـــةَ الـــضحى المخمـــور

هـبط الـسفحَ... طاويـاً مـن جناحيـه
علـــى كـــل مطمـــح مقبـــور

فتبـارت عاصـئب الطـير مـا بـين
شـــرودٍ مـــن الأذى ونَفـــور

لا تطـيري، جوّابـة الـسفح، فالنـسر
إذا مـــا خبرتِــه لم تطـــيري

نـسل الـوهن مخلبيـه، وأدمـت
منكبيـــه عواصـــفُ المقـــدور

والوقـار الـذي يـشيع عليـه
فـضلة الإرث مـن سـحيق الـدهور !

وقـف النـسر جائعـاً يتلـوى
فـوق شـلوٍ علـى الرمـال نـثير

وعجـاف البغـات تدفعـه
بالمخلـب الغـض والجنـاح القـصير

فـسرت فيـه رعـشة مـن جنـون
الكـبر واهتـز هـزة المقـرور

ومـضى سـاحباً علـى الأفـق الأغـبر
أنقـاضَ هيكـلٍ منخـور

وإذا مـــا أتـــى الغياهــبَ واجتـــاز
مـــدى الظـــن في ضـــمير الأثـــير

جلجلــتُ منـــه زعقـــة نـــشّت الآفـــاقُ
حـــرَى مـــن وهجهـــا المـــستطير

وهـــوى جثـــةً علـــى الـــدروة الـــشماء
في حـــضن وكـــره المهجـــور !

❖❖

أيهـــا النـــسر هــل أعــود كمـــا عــدتَ
أم الـــسفح قـــد أمـــات شـــعوري ؟!

١٩٣٨ م

رعياً لكم يا فتية

رعيـــاً لكــم، أنـــتم علـــى موعـــد
مـــــضمخ بالمجــــــد والـــــسؤدد

عـــــرائس الخلـــد تنـــادت لــــه
مــــن مـــورد سمـــح إلى مـــورد

وحلمهــــــا في وهــــج احـــــداقها
علـــى الظمـــا حـــيران لا يهتـــدي !

أمـــــضها الـــــشوق إلى ضــــمة
تنقـــــع فيهـــــا غلـــــة الأكبــــدِ

فكـــم ســـؤال شـــارد عـــن متـــى
وأيـــــن في أصـــــدائها الــــشرد

قولـــــوا لهـــــا موعــــدنا في غــــد
بـــين روابـــي القـــدس والمـــزود !

رعيـــاً لكـــم يـــا فتيـــة لم تطـــق
رجـــع عتـــاب الـــصارم المغمـــد

فامتـــــشقته نخـــــوة وانـــــبرت
تعـــــده للأرعـــــن المعتـــــدي

ناجاكم الثأر فكنتم على … لهاته أنشودة المنشدِ

فما غوتكم زهوة في الصبا … ولا حواشي برده الأملدِ

تأبون مس الكأس لو لم يكن … وشم الدم المطلول ملء اليدِ !

رأيتكم في موقف خاشع … ينقل عنكم شرف المقصّدِ

فأصغت الأمة في نشوة … إلى جلال القسم الأيدِ

نذرتم الروح فداء لها … ما أجمل المفدي والمفتدي

يا قائد الأبطال جرح العلا … على الجباه السمر لم يضمدِ

كانت لنا راياتنا وانطوت … على أكف الساسة الأعبد !

أرجعتها تخفق مزهوة … على الجبال الشم والأنجد

فاحشد لها ما شئت من عدة … واضرب بها ما شئت من فرقد

طالعتنـــا فأتلقـــت نجمـــة   هاويـــة في الحالـــك الأســـود

نرنـــو إليهـــا بـــالعيون الـــتي   راودهـــا الـــضيم ولم ترقـــدِ

نهـــضت بالعـــبء فيهـــا كاهـــل الإ   يمـــان لا تتعـــب ولا تقعـــد

دنيـــا مـــن الأمجـــاد مولـــودة   فيـــه ودنيـــا بعـــد لم تولـــد

ولاح قائدها

مرابع الخلد ! أضحى جفني السهر
وملني صاحباي، الكأس والوتر

حملت حبك أشجانا مؤرقة
وما انقضى لي من نعمائه وطر

فكم أسلت على نجواك حنجرتي
وللنجوم على ألحانها سمر

فأين أشتات أظلال نعمت بها
والدهر دونك فيما شئت يأتمر

أقلب البصر المشدوه أسأله
عنها، فيغضي على استحيائه البصر

وما الفراتان، ما الأردن، ما بردى ؟
إلاّ الشرايين في جنبيك تنتشر

أمسى وكل فريق بعد فرقته
أسوان في غصص الأشواق ينفطر

لم يخفر العهد ايماناً بوحدته
إذا الألى حكموا في أمره خفروا

ومــــصر في زحمـــة الأهـــوال صـــامدة
والغــدر يأخــذ منهــا فــوق مــا يــذر

فلـــم تمـــنن بمـــا أعطتـــه مـــن فلـــذ
إن الكـــريم ليعطـــي، وهـــو يعتـــذر

يـــا مـــن رأى فـــارس اليرمـــوك يخلفـــه
أبـــو عبيـــدة، والهيجـــاء تـــستعر

مـــضى، ولم يـــستبق طعناتـــه بطـــل
ولا تـــأخر عـــن ميعـــاده ظفـــر

فـــصاح في صـــحبه الأبـــرار مبتـــسماً
والمجـــد في نـــشوة الإصـــغاء منغمـــر

إنّـــا نقاتـــل كـــي يرضـــى الجهـــاد بنـــا
ولا نقاتـــل كـــي يرضـــى بنـــا عمـــر

❖ ❖

يـــا مـــصر دارت بنـــا الأيـــام دورتهـــا
وطالعتنـــا بهـــا الأحـــداث والغـــير

لم نـــربح الجولـــة الأولى فـــلا خـــسرت
علـــى الغـــد المـــشتهى جولاتنـــا الأخـــر

كـــم نازلتنـــا الليـــالي الـــدهم فانكفـــأت
وحـــول أعناقهـــا مـــن وسمنـــا أثـــر

يـا مـصرا هـذي ربـوع الـشام عاودهـا فجـر عـن الأمـل المعـسول ينحـسر

أثـرت بالـصيحة الزهـراء نخوتهـا فهـان دون خطاهـا المـسلك الـوعر

و(لاح قائـدها)[1] المـأمول فالتفتـت إليـه ، وانطلقـت بالـشهب تـأتزر

إن الألى شـربوا مـن كأسـها سـكروا وعربـدوا مـا أراد اللـهو والأشـر

يـا مـصر تلـك شـجون مـا انفجـرت بهـا لـو لم تكـن بقايـا القلـب تنفجـر

لم أحـبس الـشعر في عيـد يـرف بـه علـى مغانيـك مخـضل ومزدهـر

حـسبي مـن القـول هـذا اليـوم بيعتـه والـروض بـالأرج الفـواح يختـصر

❖ ❖

[1] المقصود هنا الرئيس جمال عبد الناصر

ضجر الشيخوخة

كلمـــا المـــوتُ لاحَ كنـــتُ أرميـــه
بطَـــرْفٍ بالكبريــــاء خَـــضيبِ

وابتـــسامي علـــى شـــفاهي ترنيمـــةُ
شـــــكرٍ إلى شـــــبابي اللَّعـــوب

وتمـــرُّ الأيـــام... والمـــوتُ غـــادٍ
رائـــحٌ راصِـــدٌ علـــيَّ دروبـــي

كلمـــا شِـــئْتُ أن أصـــافِحَه ازْورَّ
وولّـــــى بـــــصمتِهِ المـــــستريبِ

إنـــه حاقـــدٌ علـــيَّ ولا يثنيـــه
عـــن حقـــدِهِ وقـــارُ مـــشيبي

لـيس ينـسى الماضـي ومـا كـان مـني
في التلاقـــي مـــن قلـــةِ التهـــذيب !

كنا

كنـا ومـا مَرَّ علـى وهمنـا — أن تـسأل الأقـداح عـنْ خمرنـا

ذاك الـصبا الريـان ولَّـى ومـا — عَلّمنـا كيـف تكـونُ المنـى!

فكـم سَـحَبْنا ذيلَـه في الربـى — ففتَّـقَ النـسرينَ والـسوسنا!

كُنّـا !! ومـا أوْجَعَهـا زفـرةً — مخنوقـةَ البـوحِ، ومـا أحزنـا

تـأَمَّلي لَهْـوَ الليـالي بنـا — كيـف جنـى مـن روضـنِا مـا جَنـى

لم يبـقِ مـن مجلـى تهاويلنـا — بـين يديـهِ أثـراً بَيّنـا!

إذا تلفَّـتِ إلى أمـسها — لم تعـرفي مَـنْ أنـتِ أو مَـنْ أنـا!!

❖ ❖ ❖

رفيقةَ العمر جفاني الكرى ... فوسّديني الساعد اللينا

مُري بجفنيك على جبهتي ... واستعرضي العيشَ الفتيَّ السنا

وسَلْسِليه قصةً قصةً ... وقرّبيهِ مَوْطنا موطنا

أريدُ أن اغفو وفي مِسمعي ... ما يَستْعيرُ الحبُّ من حُبنا!

بعض الطيور

((طير الاوز لا يغني إلا ساعة موته))

تُـصغين؟.. أغنـيتي رَفّـاتُ أجنحـةٍ
مامَسـسَّها في ليـالي شـوقِه وَتَـرُ

نثرتُـه مـن جراحـاتٍ مـضمدةٍ
ومـن مُنـىً لـيس لـي في جودِهـا وطَـرُ

رَدَّتْ اليـك عهـوداً مـا نعمْـتِ بهـا
أيـامَ.. أنـتِ الـصبا والزهـوُ والخَفَـرُ

مـا أحـزَنَ الـوردَ لم يُعْـرَفْ لـه عَبَـقٌ
وأضـيْعَ الغُـصنَ، لم يُقْطَـفْ لـه ثَمَـرُ

❖❖❖

تـصغين أي إيـابٍ تحلُمـينَ بـهِ
وأي دربٍ بـه مـن خَطْونـا أَثَـرُ

لا تـسْأليني مـا ترجـوه أغنـيتي
بعـضُ الطيـوِ تُغَنَـي.. وهْـي تُحْتَـضَرُ!!

عالم من نساء

((على رصيف المرفأ))

جنباً إلى جنبٍ.. نَجُرُّ الخُطى

وفي مآقينا احْتِضارُ العزاءْ

كأننا طيفانِ قد أفلِنا

من عالمِ الموتى ودنيا الفناءْ

لالَمسةٌ منا.. ولا هَمْسةٌ..

أشقى المنى ما ضاق عنه الشقاء

وسلَّنا من صمتنا موعدٌ

نادى به المرفأ مُرَّ النداء!

وكان منا موقفٌ لم يدَعْ

في الشهقةِ الحَرَّى.. بقايا رجاءْ

تَـــــدْري وأدْري، أنهـــــا فرقـــــةٌ

لـــيس لنـــا مـــن بعِـدها مـــن لِقـــاء

ســــارتْ إلى المركـــــبِ.. مـــــشدوهةً

معقــــودةً أجفانُهـــــا بالــــــسماءِ!

وغـــابَ في الــــيمّ.. وغابَـــتْ بـــــه..

عــــني.. عـــــالَمٌ مـــــن نِـــــساءِ!!

لن أرمي به

لم أزل أســـحبُ قيـــدي متعبـــاً
وجراحـــي لم تـــزلْ تـــشتمُ قَيـــدي!

أنـــا أقبلـــتُ عليـــه راضـــياً..
بعـــدما غبَّيْـــتُ في عينيـــكِ رشـــدي

كـــم تغاضـــيتُ حيـــاءً، كلمـــا
أومـأتْ لـي مـن كُـوى الاشْـفاق أيـدِ

كـــل أهوائِـــك كانـــتْ بدعـــةً
مـــن غوايـــاتٍ، عنيـــداتِ التحـــدّي

أخـذتْ مـن كبريـائي مـا اشـتْهيتْ
وَتَلـــهتْ بتبـــاريحي ووجْـــدي

فـانطوى.. في غيهـب النـسيان ذكـري
وانتهـى في ذلـةِ الغفـرانِ حقـدي!

وجفـــاني كــــلُّ أترابـــــي، فمــــا
حفظـــوا ودّي، ولا أوفـــوا بعهـــدي

مــا تبقــى.. غــيرُ هــذا القيــد لــي
في بقايــا الليــل.. مــن هــمٍ وسُــهدِ

إنــــه عُمْـــري !! فلـــن أرمـــي بـــه
لا أطيـقُ الـسيرَ في الوحـشةِ.. وحْـدي!

إن ذكرت

وتـــسائليني!! مايُريحُـــكَ؟ ... مـــا أُجيبُـــكِ؟ لـــستُ أدري!

غالبْـــتُ فيـــك غـــوايتي.. ... فخـــسرتُ فيهـــا كـــلَّ كِبَـــري!

وتبعـــتُ طيفَـــكِ عاقـــداً ... بالـــذيلِ منـــه زمـــامَ أمـــري

كـــم وقفـــةٍ لـــي دون داركِ ... خَـــضَّبتْ بالـــذلِ صَـــبْري

وغَضَـــضْتُ مـــن طـــرفي، كـــأني ... مالَمَحْـــتُ خيـــالَ غَـــيري!

كـــم ليلـــةٍ حَـــرَّى، علـــى ... لإغرائهـــا أرخـــصتُ خمْـــري!

وأهنْـــــــتُ تحـــــــتَ لهاثِهـــــــا

مـــا كـــان مـــن زهـــري وعطـــري

وتـــــسائليني.. مـــــا يريحُـــــكَ؟

مـــــا أجيبـــــكِ.؟ لـــــستُ أدري

أنـــا إِنْ ذكـــرْتُ نَـــشَرْتُ عـــاري

أو نـــسيتُ.. طَويْـــتُ عمـــري!!

المرأة

((تسلق الجبل الوعر ليعود

بالجوهرة الكبيرة المتلألئة فوق قمته))

حكايـــــــــــــةً مُـــــــــــــزوَّرهْ...

مــــــن قـــــال هـــــذي جـــــوهرهُ!

كانـــت علـــى البعـــد ينـــابيعَ

الـــــــــــسنا المفجَّـــــــــــرهْ!

سَـــــــــعيتُ في طلابهـــــــــا

علـــــى الـــــشِعابِ المُقْفِـــــرَهْ

علـــــى ملاعـــــبِ النـــــسورِ

والـــــــــضواري المخـــــــــدرهْ

وخلـــــفَ أَقـــــدامي نـــــثيرٌ

مـــــن جراحـــــي الخيّـــــره

واخيـــــبتي!! لم أُلْـــــفِ الا

كُـــــــــــرَةً مُبَلْـــــــــــوَرَه!

❖❖❖

وعدتُ للسفْح.. وَصحْبي

أعْينٌ مُستفْسِرَهْ

تسألُني عن رحلتي

العجيبة المظفَّرهْ

ولم أجبْ.. خِفْتُ على

خيالها أن أنْحرهْ!

وكانَ مني لَفْتَةٌ

للقمَّة المسوَّرهْ!

وشاعَ ملكَ ناظريَّ

الهالةُ المنوَّرَهْ!

والهفتي!!أقْسِمُ أن

كانتْ أمامي جَوْهره!!

دليله

لم أُصـــدّقكِ حـــين قلـــتِ:ســآتيك
وألقـــاك.. في ((فينَّـــا)) الجميلـــهْ!

قلتهـــا..بعـــدما ترنَّحـــتِ بالكـــأسِ
ووســـــدتِها الـــشفاه النحيلَـــهْ!

إنهـــا خَطـــرةٌ علـــى الـــسكْرِ.. مَـــرَّتْ
لم أعرِهـــا مـــن التفـــاتي قليلَـــه!

وتناســـيتُها.. فمـــا أنـــا مِمـــن
في زحـــامِ الـــرؤى أضَـــلَّ ســـبيلَه! !

وافترقنـــا.. ولم يمـــرَّ بجفـــني
منـكِ طيـفٌ.. عَـبرَ الليـالي الطويلـه!

❖❖❖

وَتعَـــرَّتْ علـــى الـــشتاءِ ((فينَّـــا))
واكتـــستْ بالغمـــائم المجدولـــهْ

وتلـــوَّى،، الـــدانوبُ بـــين يـــديها
متعبـــاً.. ســـاحباً خطـــاه الثقيلـــهْ!

كـان يـومٌ بالـدفء يغـري، وكانـتْ
كـــلُّ نفـــسٍ عـــن أختِهـــا مـــشغولهْ

جئـــتُ كــوخي عجــلانَ فابتـــدرَتْني

فِي ذهـــولي.. فُجـــاءةٌ مُـــستحيلَه!

إنهــا أنــتِ.. أنــتِ جــزتِ إلــيَّ الــسحبَ

والليـــــلَ والريـــــاحَ البليلَـــــهْ!

لم أُصَــدِّقْك.. لم أصـــدقْ عيـــوني

لم أصـــــدقْ قبلاتـــــكِ المعـــــسولهْ

❖❖❖

فتهالكـــــتُ.. مُمْـــسكاً بـــــذراعيكِ

علـــى مقعـــدي ومـــا بـــي حيلَـــهْ!

ما تصبَّاكِ ؟ ما توهمتِ.. ما أغراكِ؟

مازَيَّنَـــــتْ اليـــــك المخيلـــــهْ؟

أنـــتِ لا تجهلـــينَ سِـــفْرَ حيـــاتي

كيــفَ لا تطــرقينَ منــه خجولــهْ؟!

❖❖❖

لم تجيبي.. مَرّغْتِ وجْهك فِي صدري

وأطبقَتْهـــا الجفـــونَ الكحيلَـــهْ

وَدَعتْنــا إلى لقاهــا ((فينّــا)) الحــبّ

والـــــثلجُ حامـــــلٌ إكليلَـــــهْ

وانطلقنـــا.. وكـــلُّ مجلـــى فتـــونٍ

كنـــتِ تغـــشين.. مـــا عرفـــت مثيلـــه

وأوينـــــا إلى مخـــــابئ كهــــفٍ

رَدَّ أيـــــــدى زمانِــــــه مَغْلولَــــــه

في زوايـــاه للعناكـــبِ مَـــسرْى

لم تَـــشأ صـــحبةُ الأســـى أن تُزيلَـــهْ!

ومـــصابيحُه وراءَ دخـــانِ الـــشرْب

أوهى من أن تفضَّ فلولَـــــــــــهْ

وعلـــى كـــل مقعـــدٍ وجـــدارٍ

منـــه.. أسمـــاءُ فتيـــةٍ مجهولَـــهْ

أغرقـــتْ في الحيـــاةِ رحْـــبَ مـــداها

وَرَعَتهْـــــا كريمـــــةً وبخيلَـــــهْ!

قلـــتُ مـــا تَـــشعرين؟ مازالـــت الحانـــةُ

هــــــذي بـــــصحبها مأهولـــــهْ

ربمـــا كأســـها تفـــضُّ شـــذاها

ربمـــا شـــوقها نبـــلٌّ غليلَـــه!

فتـــشبَّثتِ بـــي.. وطرفُـــك يُخفـــي

في اضـــطرابٍ خـــشوعَه وذهولَـــهْ

وصـــحونا.. علـــى ســـؤال مغـــنٍ

هَـــدَّ مـــن كاهليـــهِ عـــبءُ الكهولَـــهْ

((مـــا تريـــدان أنْ أغـــني)).. فَقلْنـــا
نـــسماتُ الـــشرقِ الحبيـــبِ عَليلـــهْ!

فتغنَّـــي.. والـــشيبُ في مَفْرقيـــهِ
كـان أَشـجى.. لقـدْ سمعنـا عويلَـه!!

ونَهـــضنا.. ولم نُخيّـــبْ لـــه ظنـــاً
وســـرْنا.. والليـــلُ يطـــوي ذيولَـــهْ

وبلغنـــا الكـــوخ الـــصغيرَ.. تَخَيَّـــرْتِ
ســـريري.. لم تَـــستطيبي بَديلَـــهْ!

وتهـــاوى مـــا بيننـــا مـــن حجـــابٍ
فانتـــشي جَـــدْولٌ.. ورفَّـــتْ خَميلَـــهْ!!

وأطـــلَّ الـــصباحُ نـــشوانَ.. يَـــروي
عـــن هوانـــا هـــديرهَ وهديلَـــه!!

لـــست أنـــسى يـــوم الرحيـــلِ.. وشـــيئاً
مـــن حيـــاتي.. شـــيَّعتُ فيـــه رحيلَـــه!

❖❖❖

وتوالـــت علـــيّ منـــك رســـالاتُ
شـــجونٍ.. وأمنيـــاتٍ نَبيلـــهْ!

وبلـــوتُ الـــصبرَ المُـــبرَّحَ حتـــى
لم أطِـــقْ حملَـــه ولا تعليلَـــهْ

فأتيتُ الحمى وكانَ وشاحُ الليل

مُلْقى على النجومِ الكليلهْ!

وحثثتُ الخطى.. ووحشةُ ايامي

الخوالي.. على خطاي قَتيلَهْ!

وتوقفتُ عند بيتِك! ! ما أوجْعَهَا

وقفةً هناك.. ذليلَه؟

عشتُ فيها هُنيهةً.. خاشِعَ الطرفِ

ذبيحَ الزجا جَريحَ الرجولهْ

عشيتْ مقلتايَ، حين تراءى

لي طبفانِ، يبغيانِ دخولَهْ

قد سمعت الصدى لقبلة عربيدٍ

وسَكْرى.. وفاجرٍ وخليلَهْ!

وتراجعتُ.. تاركاً في سماع الليل

أشلاءَ قَهْقَهاتٍ طويلَهْ!!

مزقي هذه الرسالةَ،اني

قلتُ فيها، مالم أردْ أن أقولَهْ

ليس في هيكلي مَجَالٌ لشمشومٍ

جديدٍ.. فَعَربدي.. يادَليلَه!!!

الخزّان الأكبر

((رآها في مدريد، في لحظة شعر انه عاش مع عينيها الوحشيتين في عصر من العصور. وقذف عقله الباطن،هذا الخزان الأكبر، اثر ذلك الشعورالخفي بالكلمات التالية: النيل،المعبد، الكهان. سألها إذا شعرت شعوره فظننته يهذي))

عينـــــــاكِ ســـــــوداوانِ وَحْـــــــشِيتَّانْ!

أقـــــــرأ في طرفيهمـــــــا عمـــــــري!

فكـــــم طـــــواني في مـــــداه الزمـــــانْ

ومـــــا طـــــوتْ نجواهمـــــا صـــــبري!

فهـــــذه ليلتُنـــــا الحاليـــــهْ

عـــــادتْ بأشـــــتاتِ المنـــــى الغاليـــــهْ

ليلـــــةْ نـــــامَ النيـــــلُ مُفْـــــترّا

محتـــــضاً حـــــسناءَه البِكـــــرا

وزمـــــــــرُ الحِـــــــــسانْ

في رقـــــــــصها الفتّـــــــــانْ

تواكـــــــــبُ الألحـــــــــانْ

بالـــــــــصنجِ والمزهـــــــــرْ

والنـــــــــدّ والعنْـــــــــبرْ

وخلفهـــــــــا الكهّـــــــــانْ

والمعبـــــــــدُ الأكْـــــــــبرْ!

ونحـــــنُ هـــــلْ تـــــذكرينْ؟

كيـــــــف انـــــــسللنا

كيـــــف شـــــفينا الحـــــنينْ

ومـــــــــــــــا ســـــــــــــــــألنا!

وفي حمـــــــــــــــى نَخْلَـــــــــــــــهْ

تَرنَّحـــــــــــــــتْ قُبْلـــــــــــــــهْ

فاطفـــــــــــــــأتْ غُلَّـــــــــــــــه!

وبعـــــــــدَها! لمْ نلمــــــــح الفجـــــــرا

ولم تــــــــــزلْ ليلتنــــــــا سِـــــــرًّا

أعــــــرفُ منهــــا هــــــذه الــــــذكرى

مابـــــــكِ ياحـــــــسناء، ياسَـــــــمْرا؟

ياقطعــــــةً مــــــن روحــــــيَ الحــــرَّى

أراك لا تــــــــــــدرين مــــــــــــامرّا

مــــــن أنــــــتِ، ردي علــــــى ســــــؤالي

ولا تحــــــدّي مــــــدى خيــــــالي

أتنكـــــــــــــريني، وتعـــــــــــــرفيني؟

وتـــــــــــــسأليني وتمنعـــــــــــــيني!

ويْـــــــــــــحَ يقـــــــــــــيني!

لابُـــــــــدَّ أن يحنـــــــوعليّ الزمـــــــانْ

وأن تلاقـــــــيني بفـــــــيضٍ الحنـــــــانْ

عينـــــــان، ســـــــوداوان، وحـــــــشيَّتان!!

مظاهر

هي جارتي، لم أدر ما تُسْمى! ... هي للجمالِ الفتنةُ العظمى!

يبدو على اشراقِ بسمتها ... ترفُ الصبا، وحلاوةُ النعمى!!

تتحول الأبصارُ خاشعةً ... عنها، وتُشبع طْيفها لَثمْا!

فسألتُ قالوا: بدعةٌ عَجَبٌ ... ضِقْنا بحلِ رموزِها فَهْما

عذراء تفح الطهر خطوتُها ... فكأنها من عالمٍ أسمْى

جادَ الزمان لها بأكرمِ ما ... في راحتْيهِ فما شَكَتْ هَمّا

وسعتْ لها الدنيا السموح فلو ... شاءَتْ لمسَّتْ كفُها النجْما!

وتوالت الأيامُ.. لم أرهَا ... فسألتُ... قالوا... عبَّتِ السُّمَّا!

❖❖❖

يا شاعري

أقْبلْـــتِ مـــن صـــدرٍ وقُلْـــتِ لـــي
أتُحـــبُّني أتُحـــبُّني يـــا شـــاعري؟!

انـــا بِدعَـــةُ الـــدنيا وسِـــرُّ خلودِهـــا
هُتِكـتْ علـى عُـرْيِ الحيـاةِ سَـتائري

تـــتلَمَّظُ الـــشهواتُ فـــوق محـــاجري
وتُعْربِـــدُ اللـــذاتُ خَلْـــفَ مـــآزري!

وتُسَلْـــسِلُ النَّعْمـــاءَ حُمْـــرُ مَراشِـــفي
وتَلُـفُّ جيـدَ الـنجمِ شُـقْرُ ضـفائري

حـــسناءُ! لا تتقَرَّبـــي مـــن خـــاطري
طُـوِيَ البـساطُ ونـامَ جفْـنُ الـسامِرِ!!

❖❖❖

وفتحْـتِ أبْـوابَ الثـراءِ.. وقلْـتِ لـي
أتُحـــبُّني أتُحبُّـــبني يـــا شـــاعري!؟

انـــا مِتْعَـــةُ العـــاني وفَـــيءُ دروبـــهِ
ومَـــلاذُه مـــن كـــلّ صَـــرْفٍ غـــادرٍ

ترمـــي باكْـداسٍ النــضار مــواطئي
وتلـــفُّ جلْبـــابَ الظـــلامِ جـــواهري

وأقــيمُ حَــوْلَ ركــابِ عمْــركَ أعْبُــداً
يتـــــسابقون إلى نِـــــداك الآمـــــر

حـــسناء! لا تـــتلاعبي بـــشعائري
حَـسْبي مــن الينبــوعِ جُرْعــةُ عــابرِ!!

وطَلَعْـتِ مـن حُجُـبِ الغيـوبِ وقُلْـتِ لـي
أتحـــــبُّني أتحـــــبِّني ياشـــــاعري

أنـــا فَـــيْضُ آلامٍ وَوَحْـــيُ ضَـــلالةٍ
وســـرابُ أحـــلامٍ وقَبْـــرُ ضـــمائرِ

اقتـــات بـــالجرحِ الـــسخيّ وأشـــتْهي
لـــو قَبَّلَـــتْ شـــفَتايَ مِدْيَـــةَ نـــاحري

لا تهتــدي بــسنا الــشموسِ أحــبَّتي
وتمـــــوتُ دون مـــــواردٍ ومـــــصادرِ

حـــسناء! لا تَتَغَـــيَّبي عـــن نـــاظري
هـــذي يـــدي! فَتّـــصَرَّفِ بمقـــادري!!

❖ ❖ ❖

ذكرى شعرية

تروي السيدة فيكتوريا يوسف مفرج،ولقبها الفني سوسن، هذه الحكاية الواقعية بما معناه:

في أوج شهرتي دعيت للعمل في إحدى المدن السورية، "فا ستقبلني أهل تلك المدينة بالترحاب وأكرموا وفادتي، وتسابقوا لزيارتي بعد أن استمعوا إلى صوتي وأعجبوا به. وكان من بين الذين أسرعوا لزيارتي الشاعر الكبير عمر أبو ريشة . فدخل صالة استقبال الفندق الذي كنت أقيم فيه. وكنت أتحدث إلى شاب سبق أن وعدته بالزواج .

وعند وصول عمر أبو ريشة استأذنت خطيبي، وانصرفت للترحيب بالوافد الجديد، وخطيبي يرنو إلينا من بعيد، فرأى عمر ينحني ويقبل يدي. لم يرق له ذلك النوع من المجاملة التي لم تكن معروفة أو رائجة في سوريا، فأرسل لي مع النادل ورقة صغيرة كتب فيها، "ما هذا" !!؟ قرأت الورقة خلسة ثم أخفيتها في يدي، وتعمدت أن أتابع حديثي بهدوء وبساطة، لكن عمر أبو ريشة أصرّ وأقسم ليعرف ما جاء في تلك الورقة.. وعندما قرأها تبسم ضاحكاً بارستقراطية، وكتب يجيب الخطيب الثائر الغيور:

لا تخلــي الأوهــام تعــصف بالقلــب
وتلـــــوى بالنبــــل والوجــــدان

أطبـــع القبلـــة الكريمـــة قدســـا
كانطبـــاع القـــبلات في القـــرآن

وفي هذا الصدد فقد كتب عمر أبو ريشة على ديوانه الشعري الذي أهداه إلى (سوسن) بتاريخ الخامس عشر من شباط /١٩٣٧م/ مايلي:

ظمئـــت أو لـــيس في كأســـي
ســـوى ســـخرية اليـــأس
تعـــالي حـــديثيني يـــا
فتـــاة الأمـــس عـــن أمـــسي

لن تندمي

مـــــــالي أراكِ كئيبـــــــة ... النظـــــــرات لم تبتـــــــسمي!

هـــذا الـــذهول يـــنمُّ عـــن ... ذاك الجـــــوى المتكـــــــتم!

ويكـــادُ يـــسأل: مـــن أنـــا ... ويكـــادُ يخـــذلني فمـــــي!

أنـــا يـــا ابنـــة الأمجـــاد ... مثلـــكِ. واقـــفٌ في مـــأتمي!

أنـــا مـــن بقايـــا أمـــةٍ ... هـــي والعُلـــى . مـــن تـــوأم

مَـــرَّتْ علـــي الـــدنيا مـــرور ... القطْـــر بالحقـــل الظمـــى

وتناقلــــت أيـــات رحمتهـــا ... شـــــــفاهُ الأنجـــــــم!!

ردَّت إلى مغنـــــــــــــاك ... عهـــد ربيعــــك المتـــــصرّم!

فـــإذا شمـمْــــتِ الطيــــب فهـــو ... نــــــــــثيرٌ ذاك الموســـــــــــم!!

لا تــــــسألي أيــــــن انتهــــــتْ ... لا تـــــــــسألي ! تتــــــــأملي!

الـــــــشملُ بـــــين مُــــــشتَّتِ ... ومُمَـــــــــــزَّقٍ. ومـــــــــثلّم

والأرض ... مازالــــــــــــــت ... مهـــــادَ الظـــــالم المــــــتظلّم!!

يــــا ر وعــــة الماضـــي البعيـــد ... المتـــــــــــستّرِ. المـــــــــبهم!

ألقـــــــاكِ! .. واغُــــــــصَصَ ... اليتيمــــــة في ظــــــلال الميــــتم!

عـــــودي إلى حــــــرم الغيـــــا ... هـــــبِ واهجعـــــــي............

لــــــن تنـــــدمي!

شبح الماضي

لا تطفئـــي المـــصباحَ، ان الكـــرى
لمَ يتَّكـــئ بَعْـــدُ علـــى مقلتـــى!

ولم يـــزلْ في الكـــأسِ مـــن خمـــرةٍ
تَـــسْتنزفُ الأوهـــامَ مـــن ســـكرتي

مـــاذا تريـــدين؟ وظَـــلَّ الهـــوى
مـــاجفَّ عـــن عطفيـــكِ يـــا فتـــنتي

نـــامي علـــى مهـــد الـــصبا، واحلمـــي
جّـــذلى، وخلـــيني إلى وحـــدتي!

لا تـــسحبي الزفـــرةَ، في حـــسرةٍ
فمـــا أنـــا غـــير فتـــىً شـــاعرِ

ان الـــتي هِمْـــتُ بهـــا حقبـــةً
هاجعـــةٌ، في قَبْرَهـــا الـــدائرِ

فـــلا تغـــاري، ان جـــرى ذكرُهـــا
منفلتـــاً مـــن خـــاطرٍ عـــابرِ

حـــسناء! أيـــن الـــشعرُ مـــن نبعـــةٍ
جَفَّـــتْ كخفـــقِ الحلـــمِ في النـــاظرِ!

❖❖❖

تَبَسَّمَتْ عن تيهها وانبرتْ
تجمعُ ما بُعْثِرَ من مضجعي!

وأصلحتْ من شعرِها وارتمتْ
تُغْري الكرى في جفنها الطَيِّعِ

نامتْ... وفاضَ الصمتُ مستوحشاً
وفاضت الأوهامُ في مخدعي

وليس ما يقلقُ هَجْسي سوى
تَنَفُّسِ الظلماءِ في مسمعي!

نامتْ، وللمصباحِ موجاتُه
على الجبينِ الهادئِ الناعمِ

يَرْمي مديدَ الظلّ في خدها
من جفنها المستسلمِ الحالمِ

ظلٌ أرى فيه ارتعاشَ الهوى
منطلقاً من قلبها الهائمِ

تخاطرتْ للرقص أطيافُهُ
ثم ارتمتْ في ثغرِها الباسمِ

❖ ❖ ❖

تَزَلَّقَ الطرفُ على عنقها
وغابَ في فَجْوتها يسكرُ

وخِصَلُ الشعرِ على صدرها
فوّاحةٌ تنثرُ ما تنثرُ

وكلّمـــا اعتـــزت، بـــدا ناهـــدٌ

يهفـــو لهـــا، أو ناهـــدٌ ينفـــرُ

كـم ذُقْـتُ مـن سمـرةِ طَوقْيهِمـا

وكـم شَـكا للاسمـرِ الاسمَـرُ!!

❖❖❖

رجعـــتُ للكـــأسِ وأفرغتُهـــا

وبـــي ذهـــولُ الهـــائمِ الموجَـــعِ

وســـرتُ مـــا بـــينَ بقايـــا المنـــى

مبعثـــرَ الخطـــواتِ للمـــضجعِ

فـلاحَ مـن ماضـيَّ، طيـفُ الأسـى

مغـــرورقَ العيـــنين بـــالأدمعِ

وحـــرتُ، لا أدري أبـــي هـــازئٌ

أو عاتـــبٌ أو أنـــني لا أعـــي!

❖❖❖

غمـــرت فـــوديَّ بكفـــي، ولـــي

في كـــلّ عـــرقٍ وعـــشةٌ حـــارده

ومـن حفيـفِ الطيـفِ في مـسمعي

جَلْجَلَـــةٌ صـــاخبةٌ راعـــدهْ

ينـــــسلُّ في رهبتِــــه ســـــاحباً

علـــى جَبـــيني كَفَّـــه البـــاردهْ

فغبـــــتُ في اطـــــراقتي ذاهـــــلاً

أحـــبسُ مـــن أنفاســـيَ الـــشاردهْ

❖❖❖

تـــنفَّسَ الفجـــرَ، علـــى صـــفحةٍ

مـــــسطورةٍ، بـــــالألمِ الثـــــائرِ

تفـــيض بالـــسلوى علـــى أنْفـــسِ

مفجوعـــــةٍ في حبهــــا الغـــــابرِ

لـــن يـــذهبَ الماضـــي باشـــباحه

مهمـــا تراخـــتْ ســـكرةُ الـــشاعر

حـــسناء، كـــل الـــشعرِ في نَبْعـــةٍ

جفّـت كخفـقِ الحلـم في النـاظر!!

شقيَّه

((التقى بها على ظهر الباخرة فكانت
موضع احترامه...ومازالت....))

حثَثْتُ خطايَ الحُمْرَ عن هيكلِ القدْسِ
وفي حمأةِ الأرجاس كفّرتُ عن رجسي!

وما استعذبتْ نفسي الشقاءَ وانما
وجدتُ عزاء النفسِ أقْتلَ للنفسِ

دعوني أعبُّ السمَّ في أكؤسِ الورى
وأقضي على تلك البقيةِ من حسّي

كفاني نَفَضتُ الكف من يانع المنى
وبعتُ صبايَ الغَضَّ بالثمنِ البخْسِ!

وما من ضحايا النار، حسناء كاعبٌ
عليها جلالُ الحسنِ في العرْيِ واللُّبْسِ

تمشَّتْ وأنفاسٌ المجامرِ حولَها
ومن خلفِها الكهانُ خافتة الجرْسِ

ولمـــا ذَكَـــتْ في المـــذبحِ النــــارُ تَمْتَمــتْ

مُــــــصلّيةً والـــــضِرسُ يُقـــــرعُ بالــــضِرْسِ

بأهلــــكَ مــــني عنــــد فـــضّ مـــآزري

علـــى مـــذبحِ اللـــذاتِ للمُــصبْحِ المُمْـــسي!!

يـــــؤرقُني الماضـــــي فأنـــشر طِرسَــــــه

وألْــــــسِنةُ الآلامِ تُقـــــرأُ في الطـــــرْسِ

وأهجـــسُ والأشـــباحُ تعتـــامُ نـــاظري

فيرتـــدُّ إشـــفاقاً فأقـــصرُ مـــن هَجْـــسي

وأزجـــرُ دمعــــي أن يثـــورَ وزفرتـــي

فـــلا دمعـــتي تُـــسْلي، ولا زَفْرتــي تُنـــسي

تغـــرُّ ابتـــساماتي عيـــونَ أخـــي الهـــوى

وخلـــف ابتـــساماتي جـــراحٌ مـــن البُـــؤْسِ

طلعـــتُ علـــى الأيـــام والطهـــرُ حارســـي

يحـــوك علـــى عِطْفـــيَّ جلبابـــه القُدســـي

وضـــجَّ بأعطـــافي الغـــرورُ فلـــم ألِـــنْ

لـــــصرخة ولهــــانٍ تمخَّـــضُ باليــــأْس

كنرجـــسةٍ في الحقـــل تلـــثمُ ســـاقَها

ثغـــورٌ مـــن الازهـــار طيبـــة الغَـــرْسِ

ولكنهـــــــا، والكبريـــــــاء تهزُّهـــــــا

أَبَـــتْ أن تـــرى في غيرهـــا رفعـــةَ الجِـــنس

حَنَـــتْ رأسَـــها كيمـــا تُقبَّـــل ظِلّهـــا

غـــروراً، فماتَـــتْ وهـــي محنيَّـــة الـــرأسِ

ولمـــا رأيـــتُ الـــدهر أزْبْـــدَ فَكّـــهُ

وكـــشرَّ عـــن أنيـــابِ منهـــرتٍ طَلْـــسِ

صـــحوتُ فلـــم أبـــصرْ حـــواليَّ راحمـــاً

يُخُفِّـــق مـــن بؤســـي ويطـــردُ مـــن تَعـــسي

وألقـــتني الأقـــدْارُ في كـــفِ أرعـــنٍ

كمـــا قَبَـــضَتْ كَـــفُّ البخيـــل علـــى الفلْـــسِ

يَبُـــثُّ لـــيَ النجـــوى فيطـــربُني بهـــا

فـــأبْني مـــن الآمـــالِ أسّـــاً علـــى أسّ

فكنـــت كَـــشاةٍ ألفَـــت العـــيشَ زاهـــراً

تـــروحُ علـــى أنْـــسٍ وتغـــدو علـــى أُنـــسِ

يَهُـــشُّ لهـــا الراعـــي فترقـــص حولَـــه

فيلقمهـــا الأعـــشابَ بالأنمـــل الخَمـــسِ

فمـــا اكتنـــزتْ حتـــى تَخَطَّفـــت عنْقَهـــا

بقبـــضةٍ ذي حقـــدٍ ومديـــةِ ذي مـــسّ

فولّـــتْ أمــانّي العـــذابُ تلاشـــياً

كمـــا يتلاشـــى الـــثلجُ في قُبْلـــةِ الـــشمس

وضـــاقت بـــي الـــدنيا فهِمـــتُ طريـــدةً

أفَـــتّشُ عـــن ســـعدي فـــيلطمني نَحْـــسي!

فمـــا لاحَ لـــي الا دمٌ مـــتلاطمٌ

ففـــي لجَّـــه أغـــدو وفي لجَّـــه أُمـــسي

أرى عنـــدَه للثـــأرِ مـــن فتكـــةِ الـــورى

مناهـــلَ تُنـــسي مـــا أجـــرّعُ مـــن بـــؤْس

فـــربَّ فتـــىً مـــادَنَّس الخـــزيُ قلبَـــه

نـــصَبْتُ لـــه سَـــهْمَ الاســـاءةِ في القـــوسِ

تمطَّيْـــتُ لاســـتغوائِه فتثاءبَـــتْ

بعـــينيَّ أفْـــواهُ الـــدعارةِ والـــرّجس!

إذا أنَّ هـــزتْ رعـــشةُ الأنـــس أضـــلعي

وأفْـــرحني أن لاحَ في صـــفرةِ الـــورس

فـــصرت اذا مـــا اشـــتدَّ دائـــي تركتـــهُ

ليُعـــدي وان أبـــصرتُ مـــن خلفِـــه رَمـــسي

كمـا النحلـةُ الغـضبى لـدى وخـصمها

تمـــوتُ .... ولكـــن وهـــي مرتاحـــة الـــنفس!

غريبان

كيف عشتا غرباءٌ في الحمى

كيف قطعنا الليالي نُوَّما

كم تلاقينا وما بحتِ، ولا

بحتُ واخترنا على الجرحِ الظما

ومضى كُلٌ إلى ملعبه

يخنقُ الشوقَ ويُخْفي الألما

موعدٌ كان على الأرض لنا

وأتيناهُ ... ولكنْ بعدما!!

حدّثيني عن سنا الفجرِ الذي

طافَ بالطيبِ وزقَّ البُرْعُما

وجلا الدنيا فتوناً مترفاً

فتلقاه ضحاها نَهما

وطلعنا وادكارُ العطرِ في

خاطرينا يَتَحَرَّى الموسما

حـــــــديثني عـــــن أمانينـــــا الـــــتي

تــــــزحمُ الأفـــــق وتغـــــزو الانجمـــــــا

أيــــــن نمـــــضي؟ وصـــــــدى أغلالِنـــــا

يجـــــرح الــــــسمعَ ويـــــــثني القـــــدما

ربَّ طيـــــــــفٌ، عاتـــــــبٍ، نعرفُـــــــه

جــــــالَ في أحــــــــداقنا مُـــــــسْتَفهما

وإذا القبلــــــــة نادتنـــــــا حَبـــــــا

بـــــين شِـــــقَّي شــــــفتينا وارتمـــــى!

حـــــــدثيني، ربمـــــا تــــــدرين يـــــا

فتــــــنتي كيـــــف نــــــرودُ المُبهْمَـــــا!

❖❖❖

انتقي لي حكاية

عـــدتُ مـــن بابـــل، فخـــفَّ صـــحابي

لـــــسماعِ الغريـــــبِ مـــــن أســـــفاري

كلــــهم خاشـــعٌ،يُقلّبُ فيَّ الطـــرفَ

بـــــين الاعجـــــابِ والاكبـــــارِ

أسْــــكَرَتْهمْ حكايـــةُ الـــترفِ الـــدافقِ

في غفلـــــــةٍ مـــــــن الاقـــــــدارِ

مـــن نـــداء الثمـــار للعـــابرِ الـــسالي

لغمـــــــزِ الألحـــــــان للأوتـــــارِ

عـــدتُ مـــن ((نينـــوى)) فخـــفَّ صـــحابي

لـــــسماعِ الغريـــــبِ مـــــن أســـــفاريِ

كلــــهم خاشـــعٌ يُقلَّـــبُ فيَّ الطـــرفَ

بـــــين الاعجـــــابِ والاكبـــــارِ

أذْهلــــتْهمْ حكايـــةُ العَـــدَمِ الماثـــلِ

في قـــــــسوةٍ مـــــــن الاقْـــــدارِ

مـــن تَثَنّـــي الأشـــباح بـــين المحاريـــبِ

لنجْـــــوى الأحجـــــارِ للأحجـــــارِ

عـــدتُ مـــن عـــالَمٍ، تـــألَّق في عيـــنين

فيَّاضـــــــتين بالأســـــــرارِ

فيهمـــا يغـــرقُ الخيـــالُ، وتنهـــارُ

الأمـــــاني، وتَـــــستْحمُ الـــــدراري!

كَثُـــرَتْ فيهمـــا، حكايـــاتُ نعمـــائي

وَعَـــزَّتْ، وحـــارَ فيهـــا اختيـــاري

مـــا ترانـــي، يـــا بدعـــةَ الحـــسنِ، أرْوي

لـــــصحابي، وكلـــــهم في انتظـــاري؟

انْتقـــي لـــي حكايـــةً، ربمـــا شَـــكَّ

صـــحابي في الـــصدقِ مـــن أخبـــاري!

ليأت الفجر

مـــساء الخـــير: كـــادَ اللبـــلُ
يــــسحبُ سِــــتْرَهُ عَنَّــــا!
ومازلنـــا نهـــزُّ الـــشوقَ
إنْ أغفـــى، أو اســـتأنى!
فـــلا أكبادُنـــا تُـــروى
ولا أقـــداحُنا تَفْنـــى..
ولكـــن..طالَمـــا خِفنـــا
مـــن العـــذالِ مـــا خِفْنـــا!!

❖❖

مـــساء الخـــير .. خَلَـــي الجفـــنَ
يلقـــى إلفَـــهُ الجفنـــا
وطـــويـ في نعـــيمِ العمـــر
مـــن مغنـــى، إلى مغنـــى!
ولفـــني بـــيض أطيـــافي
علـــى أهْـــدابِك الوســـنى!
مـــساء الخـــير... هـــذي قبلـــةٌ
عَجْلـــي.. فمـــا أهنـــا!

وهــــــذي ..ضَــــــمَّةٌ أخـــــرى

فمـــا أشْـــقى .. ومـــا أحْنـــى

أأمـــضي...؟ مـــن يُطيـــق البعـــدَ

عـــن فردوسِــــــهِ الأســــنى

وفــــــيمَ نُقــــيمُ للعـــــذّالِ،

يـــــا حــــــوريتي وَزْنـــــا!

ليــــأْتِ الفجـــــرُ ... ولينقـــــلْ

حكايـــــةَ حبنـــــا، منّـــــا!!

خلاصة عامة

خصائص شعره وسماته

يرتبط الشعر العربي المعاصر، ارتباطاً وثيقاً باسم عمر أبو ريشة، الذي يمثل قمة شعرية شامخة، أوصلت الشعر العربي في النصف الأول من القرن العشرين، مرحلة الأناقة اللفظية والنضارة اللغوية في شاعرية مطبوعة لا زيف فيها، ورومانسية تسمو بالصورة الشعرية المعبرة. فهو مصور بارع يضفي على الفكرة، أو موضوع القصيدة، نفسه وبيئته لا عقله وموروثاته.

وهذه الأحاسيس الصادقة، والأنغام العذبة والصور الرشيقة الزاهية، جعلت عشاق شعره الكثر يترنحون أعجاباً ونشوة، كلما استعادوا أشعاره الذاتية، التي تعد بحق من بدائع الشعر الغنائي المعاصر، حيث ترددها الشفاه الظامئة للجمال للآذان المتلهفة التي تسجد في محراب الكلمة الحلوة:

لنـــا الحــــبُّ والكـــأسُ والمِزْهَـــرُ ... وللنّـــاسِ مِنّـــا الـــصَّدَى المــسْكِرُ

مَـــشينا معـــاً وجَنـــاح الرِّضـــا ... يواكبنـــــا ظِلُّـــــهُ الخَيِّـــــرُ

وخلــــفَ مَلاعبنـــــا أنجـــــمٌ ... علــــى شـــوقِ أَوْبَتِنـــا تَـــسْهَرُ

غـــــداً يَنقـــــلُ الكـــــونُ ألحانَنـــــا

ويَـــــسْمُرُ في ذِكْرِنـــــا الـــــسُّمَّرُ

فَميلـــــي نَغِـــــبْ في شـــــذا ضَـــــمَّةٍ

يَـــــرُفُّ عليهـــــا المَـــــدى المُقْفِـــــرُ

أخـــافُ انفـــلاتَ الـــرُّؤى الباسمـــاتِ

إذا خَلَـــــجَ الجَفـــــنُ والمحْجَـــــرُ

فأحلامُنـــــا يقظـــــاتُ الحيـــــاةِ

ووحـــــيُ النفـــــوس الـــــتي تَـــــشْعُر

ونحـــــنُ مـــــن الأزل المطمـــــئنُ

نُبَـــــشِّرُ في يومِنـــــا الأَعـــــصُرُ !

ـ أما وجدانيات شاعرنا فتتصف بالقلق واللوعة واللهفة. فقد كان يسير في الليل وحيداً كئيباً، يفكّر في أبيه وأحبابه الموتى، فسمع كأن صوتاً من بعيد يناديه ! فالتفت مضطرباً، فلم يلمح سوى نجمة واحدة تسطع في الأفق:

مَـــــنْ يُنـــــاديني ؟ وقـــــد أنكرنـــــي

في دُروب العُمْـــــرِ مَـــــنْ يَعْـــــرفني

أغريـــــبٌ مَـــــلَّ في غربتـــــهِ

عَبَـــــثَ الـــــوهمِ، ولهـــــوَ الـــــزَّمنِ ؟

أم شـــــقيٌّ نـــــسى الكـــــبر علـــــى

شَـــــفَتْهِ بـــــسمات المـــــؤمن ؟

مــــن يُنـــاديني وسُــــمَّار الــــدُّجى

كُحِّلــــتْ أجفـــانهم بالوَسَــــنِ ؟

نجمـــةٌ ضـــاءت علـــى البعـــدِ فيـــا

ذيلَهـــا الوضّـــاء، كـــن لـــي، كفـــني

والجدير بالذكر... أن الشاعر الكبير كان يقول:

ـ (أنا شاعر قصيدة، ولست شاعر بيت كما يتوهم العديد من النقاد. والقصيدة عندي وحدة لا تتجزأ، تعودت أن أختمها بما أطلقت عليه البيت المفاجأة). ولعلّ قصيدة (هكذا) تثبت صحة هذا الرأي. وهذه القصيدة نظمها الشاعر عندما سمع أن أحد رعايا المحميات البريطانية، أنفق في ليلة واحدة ستين ألف دولار على عشيقته:

صـــاحَ يـــا عبـــدُ... فـــرفَّ الطيـــبُ

واسْــتَعرَ الكـــأسُ وضـــجَّ المــضجعُ !

منتهــــى دنيـــــاه نهـــــدٌ شَـــــرسُ

وفَـــــمٌ سَـــــمحٌ، وخَـــــصْرٌ طيِّــــعُ

بــــــدوي أورقَ الـــــــصخرُ لـــــــه

وجــــــرى بالسلــــــسبيلِ البْلقَـــــعُ

فـــــإذا النخــــوةُ والكِبْـــــرُ علــــى

تـــرِف الأيـــــام جــــرحٌ موجــــعُ...

هانَـــت الخيـــلُ علـــى فرســـانها !

وانطـــوتْ تلـــك الـــسيوفُ، القطَّـــعُ

والخيـــامُ الــشمُّ كالَـــت، وهَـــوَتْ
وعَـــوَتْ فيهـــا الريـــاحُ الأرْبَـــعُ !!

قـال... يـا سـناء مـا شـئت اطلـبي
فكلانــــا بــــالغوالي مولَـــــعُ

أختـــك الــشقراءُ مـــدّتْ كفهـــا
فاكْتَـسى مــن كــل نجــمٍ إصْـبَعُ

فـــانتقي أكـــرمَ مـــا يهفـــو لـــه
مِعْـــصَمٌ غـــضٌّ وجيـــدٌ أتْلَـــعُ

وتلاشـــى الطيـــبُ مـــن مخدعِـــهِ..
وتـــــولاّه الـــــسُبَاتُ المُمْتِـــــعُ !

والــــذليلُ العبـــدُ دون البـــابِ
لا يغمــض الطــرفَ ولا يــضْطجِعُ !

والبطــــــولاتُ علــــــى غُرْبَتِهــــــا
في مغانينـــــا جيـــــاعٌ خـــــشَّعُ

هكـــذا.. تُقْـــتَحَمُ القـــدس علـــى
غاصـــبيها !! هكـــذا اتُـــسْتَرْجَعُ !!

أما المرأة.. فقد عاشت في حياة عمر أبو ريشة بكل عطرها وطيبها، وعاش بعض شعره يتلفت إلى شذاها وهمسها، فكان له معها انتصارات، تركت على هيكله الشاعري كتابات كثيرة، كالأساطير في ملاحم الهوى والحب.....

كتب عنه الأستاذ المحقق الدكتور سامي الدهان في محاضراته عن (الشعر الحديث) في الإقليم السوري فقال:

(قد ينقضي الدهر بأيامه الفانية، ويبقى شعر عمر برناته الخالدة، ونغماته المصورة، وظلاله المفعمة...).

ويقول عنه الناقد اللبناني مارون عبود ما معناه:

(في ديوان عمر أنين حب جريح، وفيه أهازيج حب مظفر، ربح معارك شتى، وخرج من غبارها غير معوه ولا مهشم. وبديوان عمر نخوة ولكنها غير مبتذلة، وفي عمر أبو ريشة شاعران: شاعر غنائي يمرح برصانة ويتألم بجد ووقار، يتجمل في حديث حبه ما قدر خوف الشماتة. وشاعر قصصي ظهرت لي ملامح عبقريته الشعرية في وثبات).

النساء الجميلات عنده كالأزهار، لكن زهرة فوّاحة شذاها ونضارتها، ينّقل فؤاده حيث يشاء له الهوى، ولا يكترث أبداً من الذي سيجرع الكأس التي كانت بين أصابعه من بعده:

لمن اسأل الكأسَ على راحتي

مَنْ يا ترى بعدي بها يجرعُ

ففي دواوينه الشعرية نماذج متعددة ومتناقضة من المرأة:

- المرأة البطلة الاستثنائية (جاك دارك).

- المرأة الشرسة الماكرة.

- المرأة الوفية الطاهرة.

- المرأة الشبقة التي تخضع لنزواتها.

- المرأة المسلوبة الإرادة التي يلهو بها الرجال.

ومما يسترعي الانتباه أن الشاعر لا يقف عند وصف مفاتن المرأة وتفاصيل جسدها، بل يتجاوزه إلى وصف مشاعرها وهواجسها ونفسيتها، فالقصيدة العاطفية عنده تعلن موقفاً مبدئياً، لا يعرف المساومة، من الحب في كل صوره وألوانه ومن المرأة في الموقع الحياتي.

لقد علّمنا عمر أبو ريشة أن الفن النبيل يواكب الحياة فيستوعبها وتستوعبه، وحين تعود الرومانسية به إلى نداء الحب، على حد تعبير الشاعر أحمد زكي أبو شادي. ومن خلال الرومانسية الزاهية المتبرجة، راح الشاعر يستجيب لواقعية الحياة، بما تحمل من انتصارات ونكبات، ومناسبات وطنية وقومية هامة. وهو لا يترك مناسبة تمرّ دون أن يدافع عن كرامة مواطنيه وعزة أمته:

يـــا شــعبُ، لا تَــشكُ الأذاةَ ولا تُطِــلْ فيهـــا نواحــكْ

لــو لم تكــن بيــديك مجروحـــاً لــضمدنا جِراحــكْ

أنــتَ انتقيــتَ رجــالَ أمــرك وارتقبــتَ بهــم صَـلاحك

لهفــي عليــك ! أهكــذا تطــوي علــى ذلّ جناحَــكْ

لــو لم تُــبحْ لهــواكَ عليــاءَ الحيــاةِ لمــا اســتباحكْ !

كثرت في أشعار عمر كلمات: (المجد)، و(الثأر)، و (التحدي) ، و (السيف)، و (الرايات). فكأنك حينما تقرأ شعره الوطني، تشعر بأنك في معركة من معارك العرب الفاتحين، وانتصارات وقائعهم الخالدة، وتخطيت الزمن، وعشت في أجواء (القادسية) و (اليرموك) و (الزلاقة) في الأندلس. يقول في قصيدته (هيكل المجد):

هيكــل المجــد لا عــدتك العــوادي

أنــــت أرث الأمجــــاد للأمجــــاد

بوركـــت في هـــواك كـــل صـــلاة

صـــــعدتها حنـــــاجر العبـــــاد

منـــك هبـــت سمـــر الرجـــال وأدمـــت

حاجـــب الـــشمس بالقنـــا المبـــاد

هتفـــت بالجهـــاد حتـــى تـــشظى

كـــل تـــاج علـــى صـــخور الجهـــاد

ويرى الدكتور محسن جال الدين، أن بعد الحرب العالمية الثانية /١٩٣٩ – ١٩٤٥ م /، لم يظهر في سورية شاعر كبير استطاع أن يزيل عن أذهان الناس وعقولهم أسماء شعرائهم الكبار، كعمر، وبدوي الجبل ورفقته، الذين واكبوا المجد الوطني، والذين سعوا في استنهاض الهمم من أجل الاستقلال وتحقيق الأماني المحبوسة في الصدور.

ويختار عمر أبو ريشة قوافيه من الألفاظ الرقيقة الأنيسة. وفوق ذلك كان الشاعر يتذمر بما أدخله شعراء الحداثة على القصيدة العربية من تغييرات، فكان يصب سهام نقده وكلامه المرير عليهم كلما أتيحت له الفرصة. وفي إحدى المقابلات التي أجريت له في إحدى المجلات، ذكر أنه شَتَمَ إحدى الشاعرات، وطردها بقسوة، لأنها قرأت عليه ما لا يقبله أو يتذوقه مما يسمونه شعراً. ولا غرابة في ذلك، فالذي يتذوق الشعر، على مذهبه عمر، لا يمكن أن يقبل ذوقه، ما يطلع به شعراء الحداثة.

وخلاصة القول.. إن التجديد عند عمر أبو ريشة يكمن لا في تطوير الأوزان الشعرية وتغييرها، على حد تعبير الناقد الدكتور جميل علوش، بل في اختيار ما يناسب ذوقه وغرضه منها، مع الحرص الشديد على النغم العذب، واللحن المرقص، المنبثق من اللفظة المنتقاة، والعبارة الرشيقة الأنيقة.

ويضيف الدكتور علوش:

« فهو لا يكتسب معانيه من الفلسفة أو العلم، كما كان يفعل عباس محمود العقاد مثلاً، بل يكتسبها من حياته وتجاربه. وهي معان تتسم بالجدة والطرافة، لأن عمر لا يلوك معاني غيره.. وإذا أردنا أن نبحث لعمر على شبيه في القديم أو الحديث لا نجد ».

مصادر ومراجع الكتاب

١ ـ الشاعر الخالد عمر أبو ريشة حياته وشعره. منشورات مجلة الضاد ـ حلب.

٢ ـ عمر أبو ريشة حياته وشعره مع نصوص مختارة. د. جميل علوش. دار الرواد ـ بيروت ط١ ١٩٩٤ م.

٣ ـ يحدثونك عن أنفسهم. ج٣. هاني الخيّر. دمشق ١٩٨٩ م.

٤ ـ الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش. الدكتور ميشال خليل جحا. دار العودة ـ بيروت ١٩٩١ م.

٥ ـ مجددون ومجترون. مارون عبود. بيروت ١٩٤٨ م.

٦ ـ قضايا الشعر المعاصر. د. أحمد زكي أبو شادي. الشركة العربية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٩م.

٧ ـ العراق في الشعر العربي المهجري. د. محسن جمال الدين. مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٦٥ م.

٨ ـ الشعراء الأعلام في سورية. د. سامي الدهان. منشورات دار الأنوار ـ بيروت ١٩٦٨ م.

٩ ـ ديوان شعر. عمر أبو ريشة. حلب ١٩٣٦ م.

١٠ ـ ديوان من عمر أبو ريشة. بيروت ١٩٤٧ م.

١١ ـ الأعمال الكاملة. المجلد الأول. ط دار العودة. بيروت.

١٢ ـ أمرك يا رب. شعر عمر أبو ريشة. دار الأصفهاني للطباعة ـ جدة.

١٣ ـ من وحي المرأة. عمر أبو ريشة. قدّم له العماد مصطفى طلاس. منشورات دار طلاس ـ دمشق ١٩٨٤ م.

١٤ ـ صحيفة الثورة السورية ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٤ م. رقم العدد ١٢٢٤٢. مقال بقلم هاني الخير تحت عنوان: ذكريات منسية مع أدباء عرفتهم.

١٥- مجلة الاسبوع العربي، العدد ٢٢٠، ٢٦ آب ١٩٦٣

١٦- مجلة الجسر، العدد ١١، كانون الأول ٢٠٠٤م.

١٧ ـ لقاءات شخصية مع الشاعر.

الفهرس